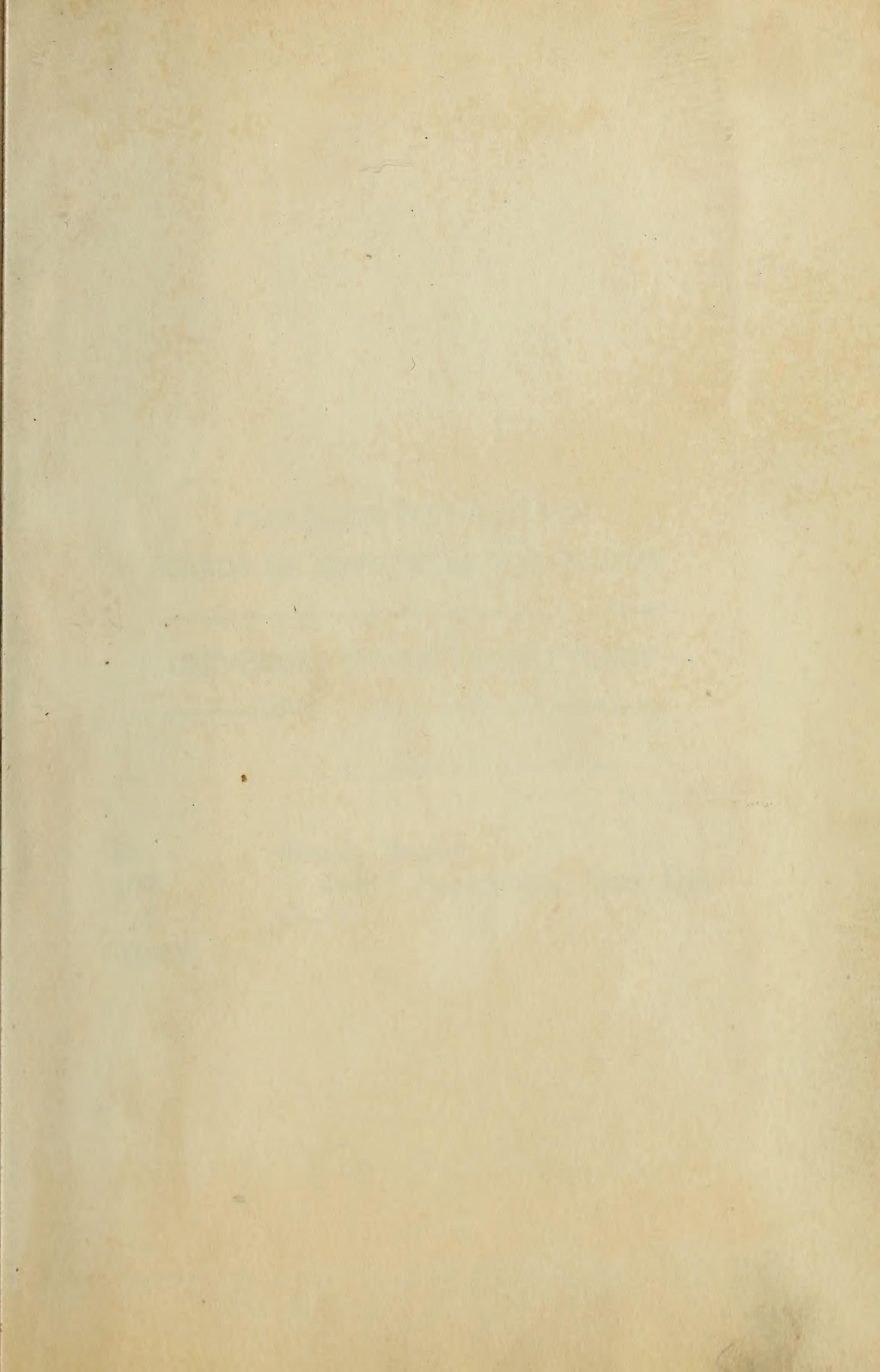




المحاضرات الأثرية

يوسف ١٣٣٥

﴿ المحاضرة الأولى ﴾

جامع سيدنا عمرو بن العاص

تأليف



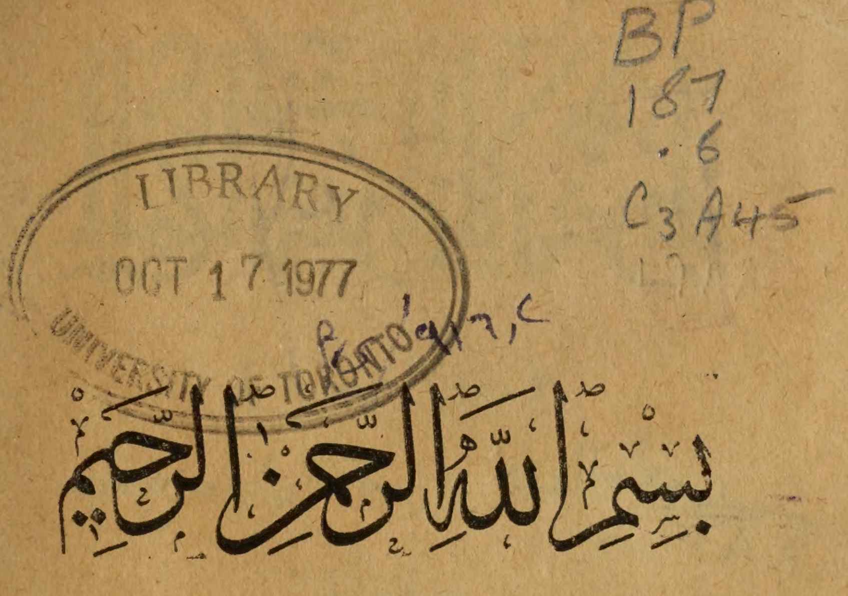
المفتش بلجنة حفظ الآثار العربية

بوزارة الاوقاف

﴿ الطبعة الاولى ﴾

(سنة ١٣٣٥ هجرية — سنة ١٩١٧ ميلادية)

(مطبعة المعاهد بدرب الاتراك بجوار الازهر الشريف بمصر)



« وبه نستعين »

الحمد لله الذى علم الانسان مالم يعلم . وأرشده بالآثار الى معرفة من تقدم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الجامع محاسن السير ومكارم الاخلاق . وعلى آله وأصحابه الذين أسسوا المساجد على تقوى من الله ورضوان . وشيدوا أركان العلم على أمتن أساس وأحكم بنيان « وبعد » فقد كنت شرعت منذ زمن فى تأليف كتاب يشمل الآثار العربية التى شادها ملوك الاسلام ومن تبعهم من الأمراء والحكام بمصر ليكون دليلا لمن يريد زيارتها ويستغنى به عن تصفح سواه من الكتب التاريخية

ولما قارب تمامه وجدته مطولا يشق على الزائر استصحابه .
بينما أنا أفكر فى طريقة لاختصاره إذ طلب منى فى أواخر
سنة الماضية بعض أساتذة المدرسة الخديوية وطلبتها أن
صحبهم أثناء زياراتهم لبعض الاماكن الاثرية العربية لأرشدهم
لى ما فيها من نفيس الصناعات وأتلو عليهم نبذا تاريخية عنها
بيت طلبهم مرة بعد أخرى حتى انتهت تلك السنة . ولقد
عجب بزياراتنا جناب المستر ج . م . فرنس . ناظر المدرسة
رسل لى خطابا رقم ٢٤ بتاريخ اول مايو سنة ١٩١٦ يحبذ
ـه هذا العمل فكان فى ذلك خير مشجع لى ولحضرات
لاساتذة والطلبة

ولما وجدوا ان زيارة هذه الآثار بمثل هذه الطريقة
علمية الفنية تعود عليهم بفائدة عظيمة سألونى هذه السنة
ن أرسم لهم خطة يسيرون عليها فى الزيارات التالية وان
كون معهم لايضاح مايغمض عليهم أثناءها سواءاً كان ذلك
صاً بالعمارة أو التاريخ . فاستحسنت ان تكون هذه
يارات والمحاضرات مرتبة على حسب توالى الازمنة ليسهل
يهم تتبع الادوار التى تقلب فيها فن العمارة والزخرفة العربية

فى العصور السالفة

وقد رأيت ان أجعل كتابى السالف الذكر رسائل أو محاضرات كل محاضرة عن أثر من الآثار مشفوعة بصور ورسوم تبين حال الأثر وما طرأ عليه من تخريب وتعمير لتكون تذكاراً خالدا وفيها مجال كبير لمن لم يسعدهم الحظ بمشاهدة تلك الآثار لعلهم يتشوقون اليها وينتهزون كل فرصة تسنح لهم لرؤية ماخلفه لنا السابقون من جليل الاعمال وعظيم المآثر التى تشهد لهم بطول الباع فى الصناعة والشأو البعيد في الحضارة والمدنية

وقد سميت هذه الرسائل بالمحاضرات الأثرية حتى لا يخرج اسمها عن مسماها . وراعيت فى تأليفها ان تكون ممتازة عن غيرها بقدر ماتسمح به مقتضيات الاحوال فجمعت فى كل رسالة ما كان متفرقا من موضوعها في كثير من المؤلفات التى ربما صعب على القارىء الاطلاع عليها بعد ان أسقط منها الكثير من الحشو والتطويل الذى لافائدة فيه وأصلح معظم مافيها من الخطأ معتمدا فى كثير من الاحوال على النقوش الكتابية المدونة على جدران الاماكن الأثرية — كل ذ

بعبارة سهلة المأخذ — وبذلك يحصل القارئ على فائدتين

الاولى : درس الحقائق التاريخية بطريقة حسنة مقرون فيها العلم بالعمل أو بعبارة أخرى المسائل النظرية بالحقائق العملية الثابتة

والثانية : انه بذلك تقوى عنده ملكة الملاحظة والاستنباط فاذا والاهما أمكنه بعد زمن ان يستفيد فائدة حقيقية من زيارته الاماكن الأثرية .

هذا وقد خصصت المحاضرة الاولى لجامع سيدنا عمرو ابن العاص رضى الله عنه لأنه أول جامع أنشئ بمصر بعد الفتح الاسلامى .

وفى الختام أشكر لجناب المستر فرنس وحضرات الاساتذة حسن ثقتهم بى وللطلبة اقبالهم وتشوقهم الى هذا العمل الجليل . والله ولى التوفيق

المؤلف

٣ شعبان سنة ١٣٣٥ — يوسف احمد

تمهيد

لما كانت المساجد ماجعلت الا لاقامة الصلوات والجمعة والجماعات فيها يحسن أن نتكلم على فريضة الصلاة وهل هى المتبعة الآن أم لا فنقول

(١) متى فرضت الصلاة

أول ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله عليه من قيام الليل ماذكره فى أول سورة المزمل ثم نسخه بما فى آخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة . قاله النووى .

وقال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلى قطعا وكذلك أصحابه رضوان الله عليهم . لكن اختلف هل افترض قبل الخمس صلاة أم لا ؟ فقيل ان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) أى كانت ركعتين

بالغداة وركعتين بالعشي

وروى أن جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال : يامحمد . ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسولى الى الجن والانس فادعهم الى قول (لا إله الا الله) ثم ضرب برجله الى الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره ان يتوضأ وقام جبريل يصلى وأمره أن يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة . ثم عرج الى السماء . ورجع رسول الله لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول : (السلام عليك يارسول الله) حتى أتى خديجة فأخبرها فغشى عليها من الفرح ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل . فكان ذلك أول فرضها ركعتين . ثم صارت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي كما تقدم . ثم نسخت هذه الصلاة بالصلوات الخمس المتبعة الآن والتى فرضت ليلة الاسراء (ليلة ٢٧ رجب على المشهور) واختلف في سنتها فقيل قبل الهجرة بسنة . وقيل بسنتين . وقيل بثلاث . اه (١)

---

(١) ابن حجر على الهمزية وغيره

(ب) مسجد قباء

وهوأول مسجد بنى فى الاسلام لاقامة الجمعة والجماعات وهو الذي نزلت فيه آية « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه »

أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس كما قال النسفى فى تفسيره .

وروى أن يونس بن بكير فى زيادات المغازى عن المسعودى عن الحكم بن عتيبة قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل بقباء قال عمار بن ياسر : مالرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من ان يجعل له مكانا يستظل به اذا استيقظ ويصلى فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قباء . فهو أول مسجد بنى لعامة المسلمين أو للنبي بالمدينة . وهو في التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرا ـ وان كان تقدم بناء غيره من المساجد

وقال الطبرانى : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال لأصحابه انطلقوا بنا الى أهل قباء نسلم عليهم فأتاهم فسلم

عليهم فرحبوا به . ثم قال يا أهل قباء . ائتونى بأحجار من هذه الحَرَّة [١] فجمعت عنده أحجار كثيرة ومعه عَنَزَة له [٢] فخط قبلتهم فأخذ حجرا فوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى حجري . ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبى بكر . ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر . ثم التفت الى الناس فقال ليضع كل رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط .

وفى الكبير للطبرانى ورجاله ثقات عن الشموس بنت النعمان قالت : «نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر (أى يميله) وأنظر بياض التراب على بطنه أو سرته . فيأتى الرجل من أصحابه ويقول:

(١) الحرة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة نخرة كأنها أحرقت بالنار (٢) العنزة عصى فى قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً فيها سنان مثل سنان الرمح . وقيل فى طرفها الاسفل زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير . وقيل هى أطول من العصى وأقصر من الرمح . والعكازة قريب منها اه لسان العرب

بأبى وأمى يارسول الله . اعطنى أكفك . فيقول لا . خذ مثله حتى أسسه . ويقول : ان جبريل عليه السلام يؤم الكعبة . قالت : فكان يقال انه أقوم مسجد قبلة » .

وروى ابن شيبة ان عبد الله بن رواحة كان يقول وهم يبنون فى مسجد قباء

أفلح من يعالج المساجدا فقال رسول الله المساجدا

فقال عبد الله ويقرأ القرآن قائما وقاعدا فقال الرسول وقاعدا

فقال عبد الله ولا يبيت الليل عنه راقدا فقال الرسول راقدا

وكان عمر بن الخطاب يأتى قباء يوم الاثنين ويوم الخميس فجاء يوما من تلك الأيام فلم يجد فيه أحدا من أهله . فقال : والذى نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فى أصحابه ننقل حجارته على بطوننا . يؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وجبريل يؤم به البيت . ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هذا بطرف من الاطراف لضربنا اليه أكباد الابل . ثم قال اكسروا لى سعفة واجتنبوا العواهن أى ما يلى القلب من السعف فقطعوا السعفة فأتى بها فأخذ زمة فربطها فمسحه . قالوا نحن نكفيك يا أمير المؤمنين .

قال لا تكفونيه . أنا أريد أن أكفيكم أنتم مثل هذا . وان شئتم اعملوا مثل ما أعمل . اه [(١)]

١ — جامع عمرو

هو أول مسجد أسس بديار مصر فى الملة الاسلامية .

ويقال له الجامع العتيق وتاج الجوامع ومسجد الفتح ومسجد أهل الراية وسماه سيدى على وفا قاعة الفرح وسماه الشيخ ابراهيم المتبولى ميدان الاولياء .

مدحه بعضهم فقال: «هو الجامع الفريد ، النضير النضيد ، الكامل المديد ، الماهول بالطائفين من الطوائف على انه وحيد ، وهو الجوهر الفرد ، والبيت الذى قدر بانيه السرد ، والمسجد المؤسس على التقوى ، والمعبد المتمسك جاره من الاسباب بالأقوم الأقوى»

لله ما أجمل وصف مصرنا   وما حوى جامعها المفرد

(١) ص ١٨٠ و ١٨١ ج ١ و ٢٠ ج ٢ وفاء الوفا للسمهودى ١٣٢٦

قد أطرب الناس بصوت صيته وكيف لا يطرب وهو معبد [1]

فهو امام المساجد ، ومقدم المعابد ، قطب سماء الجوامع ، ومطلع الانوار اللوامع ، عين قلادة البنيان ، وعقيلة بيوت الملك الديان ، موطن أولياء الله وحزبه ، ومنزل أشياع الدين وصحبه ، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه ، وواظب على القيام بنواحيه ، وتقرب منه الى صدر المحراب ، وخرّ لديه راكعا وأناب

ومال اليه كل الميل ، وجنح الى حضرته في جنح الليل ، وصرف همته باجتناء ثمرة خيره ، وأدرك فضيلة جماعته التي لا تحصل أبدا فى غيره . اه [2]

٢ — سبب انشاء الجامع

لما افتتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه البلدان كتب الى عماله بالبصرة والكوفة والشام ومصر أن يتخذ كل منهم مسجدا للجماعة وأن لا يبنوا فى موضع

(١) قصد الشاعر بمعبد التورية كما لا يخفى . ومعبد هذا أحد المغنيين المشهورين في زمن الدولة الاموية راجع الاغانى

(٢) ابن دقماق ص ٥٩ ج ٤

واحد مسجدين يضار أحدهما الآخر [١] وأن يجعلوا للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة

وكان عامل مصر يومئذ عمرو بن العاص فبنى هذا الجامع في سنة ٢١ من الهجرة . [٢]

٣ — موضع الجامع قبل انشائه

كان موضع الجامع دار قيسبة بن كلثوم التجيبي أحد بنى سوم وقد كان حضر الى مصر مع عمرو فى مائة راحلة وخمسين عبدا وثلاثين فرسا . وعرج باسرته وخدمه الى جنان تقرب من الحصن فنزل وضرب فيها فسطاطه

ولما أريد بناء الجامع تشاور المسلمون أين يكون موضعه ؟ واتفقوا أن يكون محل دار قيسبة . فسأله عمرو في موضعها وقال له أنا اختط لك يا أبا عبد الرحمن حيث أحببت فقال : « لقد علمتم يا معشر المسلمين انى حزت هذا المنزل وملكته وأنا أتصدق به على المسلمين » وارتحل . فنزل مع

(١) ص ٢٦٦ ج ٢ الخازن (٢) وفى ابن اياس ان عمرو بن العاص ابتدأ فى بناء الجامع سنة ٢٣ من ولايته على مصر وهو خطأ

قومه بنى سوم واختط فيهم

وفى ذلك يقول أبو قيان التجيبي مفتخرا :

وبابليون قد سعدنا بفتحها وحزنا لعمر الله فيأ ومغنما
وقيسبة الخير ابن كلثوم داره أباح حماها للصلاة وسلما
فكل مصل فى فنانا صلاته تعارف أهل المصر ماقات فاعلما[1]

وفى قول آخر : ان موضع الجامع كان جنانا . وقيل كان كنيسة ، وقيل كان خانا . — وقد فضلت الرواية الاولى

٤ — تأسيس الجامع ومن حرر قبلته

والذى أسس بناءه أربعة من الصحابة . وهم : أبو ذر الغفارى . وأبو بصرة . ومحمئة بن جزء الزبيدى . ونبيه بن صواب المهرى . وكان يضع اللبن بيديه .

وقال ابن ميسر فى تاريخه : والذى كان يهندس معهم الجامع هو ابن أخى المقوقس[2] وأمرهم ان يتخذوا الكنيسة

(١) مقريزي ص ٢٤٦ ج ٢

(٢) قف على معنى المقوقس فى آخر المحاضرة

العظمى جامعا . قال الواقدى : انه أسلم على يد عمرو[1]

قال الكندى . وقال يزيد بن حبيب : سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح يقولون : وقف على اقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير ابن العوام ، والمقداد ، وعبادة ابن الصامت ، وأبو الدرداء ، وفضالة بن عبيد ، وعقبة بن عامر ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وقال عبد الله بن جعفر : أقام محرابنا هذا عبادة ابن الصامت ورافع بن مالك وهما نقيبان

وقال داود بن عقبة : ان عمرا بعث ربيعة بن شرحبيل وعمرو بن علقمة القرشى ثم العدوى يقيمان القبلة . وقال لهما : اذا زالت الشمس أو قال انتصفت الشمس فاجعلاها على حاجبيكما . ففعلا . وقال الليث : ان عمرا كان يمد الحبال حتى أقيمت قبلة المسجد . وقال عمرو شرقوا القبلة تصيبوا الحرم . قال فشرقت جدا . فلما كان قرة بن شريك تيامن بها قليلا . وكان عمرو اذا صلى فى الجامع يصلى ناحية الشرق

---

(١) ص ١٤٣ من الكواكب السيارة

الا الشيء اليسير

وقال رجل من تجيب : رأيت عمراً دخل كنيسة فصلى فيها ولم ينصرف عن قبلتهم الا قليلا . وكان الليث وابن لهيعة اذا صليا تيامنا . وكان عمر بن مروان اذا صلى فى الجامع تيامن [١]

٥ — مقاس ووصف الجامع

قال أبو سعيد سلف الحميري : أدركت مسجد عمرو طوله خمسون ذراعا فى عرض ثلاثين . والطريق يطيف به من كل جهة . وجعل له بابان يقابلان دار عمرو وبابان فى بحريه وبابان فى غربيه . وكان الخارج اذا خرج من زقاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقى محاذيا لدار عمرو الغربى وذلك قبل ان يؤخذ من دار عمرو ما أخذ . وكان طوله من القبلة الى البحرى مثل طول دار عمرو . وكان سقفه مطاطأ جدا ولا صحن له فاذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية وكان بينه وبين دار عمرو سبعة أذرع . ا هـ [٢]

أنظر الشكل المرموز له بحروف (ا ب ج د) من الرسم رقم (١)

(١و٢) مقريزى ص ٢٤٧ ج ٢

ثم أخذ يتسع بحسب احتياج أهله حتى صار فى سنة ٢١٢ طوله ١٩٠ ذراعا وهو طول الجنب التى به القبلة وعرضه ١٥٠ ذراعا . عنها نحو ٦٦ر١٢٦ فى ٠٠ر١٠٠ متر .

وقد صار متوسط مقاسه الآن فى سنة ١٣٣٥ نحو ٠٠ر١٢٠ فى ٠٠ر١٠٨ متر كما سيأتى .

هذا وسنتكلم هنا على الزيادات التى طرأت عليه ونرمز لها بالحروف على الرسم المرقوم ليسهل علينا تتبع الأدوار التى تقلب فيها الجامع من وقت انشائه .

٦ — زيادة مَسلَمة بن مُخَلَّد

لم يمض على الجامع بعد انشائه أكثر من ٣٢ سنة حتى ضاق بأهله فكتب مسلمة عامل مصر الى معاوية بن أبى سفيان يستأذنه فى الزيادة . فأذن له . فزاد فيه فى سنة ٥٣ من شرقيه (البحرى الآن) مما يلى دار عمرو حتى ضاق الطريق بينه وبين الدار المذكورة . وزاد فيه من بحريه (الغربى) الآن فقط . وقيل ان الزيادة كانت من بحريه . وقيل انه هدم البناء القديم ولم يترك الا المحراب الذى وقف

عليه الصحابة . وقيل انه لم يغير البناء القديم .

وجعل له رحبة فى الجهة البحرية منه (الرحبة قطعة من المسجد ليست محلا للصلاة الا انها مسقوفة) يصيفون فيها الناس وبيضه وزخرف جدرانه وسقوفه ولم يكن المسجد القديم مبيضا ولا مزخرفا . وعمل له أربع منارات فى أركانه الاربع وجعل درجها من الخارج ولم تكن قبل ذلك وفرشه بالحصر وكان قبل ذلك مفروشا بالحصباء[1]

أنظر المرموز له بحروف (ب هـ و ز ج د) من الرسم المرقوم ٥ والرحبة (ز و ح ط) فصار الجامع (ا هـ ز و)

*
* *

وأول بدء الحصى فى فرش المساجد ماروى عن ابن عمر انه سئل فى ذلك . فقال : مطرنا ليلة فخرجنا لصلاة الغداة فجعل الرجل يجعل فى ردائه من الحصباء فيفرشه على البطحاء ويصلى عليه . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال : ما أحسن هذا البساط : فكان أول بدئه فى مسجد الرسول .

(١) مقريزى ص ٢٤٨ ج ٢ وابن دقماق ج ٦٢ ؛ والكواكب السيارة ١٩ وصبح الاعشى ١ : ٣ ج ٣ والنجوم الزاهرة ١٥٠

وفى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بتحصيبه من الوادى المبارك من العقيق . وكان الناس إذا رفعوا رؤسهم من السجود نفضوا وجوههم بأيديهم [١] .

٧ — زيادة عبد العزيز بن مروان

وفى سنة ٧٩ من الهجرة هدمه كله عبد العزيز بن مروان وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك [٢] وزاد فيه من ناحية الغرب (القبلى الآن) وأدخل فيه الرحبة التى كانت فى بحريه (هى رحبة مسلمة السالفة الذكر) ولم يجد

(١) محاضرة الاوائل ٣٩ ه وسأل رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الانسان فى ثوبه أو فى خفه أو جبهته من حصى المسجد ، فقال: ارم بها ، قال الرجل : زعموا انها تصيح حتى ترد الى المسجد ، فقال : دعها تصيح حتى ينشق حلقها ، فقال الرجل : سبحان الله ولها حلق؟ قال : فمن أين تصيح اه العقد الفريد ص ١٥٤ ج ١

(٢) مما أوصى به عبد الملك أخاه عبد العزيز حين قدومه أميرا على مصر « ابسط بشرك . وألن كنفك . وآثر الرفق فى الأمور فانه أبلغ بك ، وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك . فانه وجهك ولسانك ، ولا يقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه . لتكون أنت الذى تأذن له أو ترده ، واذا خرجت الى مجلسك فابدأ بالسلام يأنسوا بك وتثبت فى قلوبهم

فى شرقيه موضعا يوسعه به . وقيل انه زاد فيه من جوانبه كلها . وقد رجحت الرواية الأولى . —

وهذه الزيادة هى المرموز لها بحروف (ا ط ى ك) على الرسم رقم (١) والرحبة (ز و ح ط) فصار الجامع (ك هـ ى ح)

ويقال : ان عبد العزيز لما أكمل بناء المسجد خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى فى أهله خفة فأغلق عليهم الابواب ثم دعا بهم رجلا رجلا فيقول للرجل : ألك زوجة ؟ فيقول : لا . فيقول : زوجوه . ألك خادم ؟ فيقول : لا . فيقول : اخدموه . أحججت ؟ فيقول : لا . فيقول : أحجوه . أعليك دين ؟ فيقول : نعم . فيقول : اقضوا دينه . فأقام المسجد بعد ذلك دهرا طويلا عامرا [1]

محبتك . واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة . فانها تفتح مغاليق الامور . واذا سخطت على أحد فأخر عقوبته . فانك على العقوبة بعد التوقف عنه أقدر منك على ردها بعد امضائها اهـ الفخرى ص ١١٣

وفى الجزء الاول من العقد الفريد وصية لمروان والد عبد العزيز وكذلك فى الجزء الاول من المقريزى فقف عليهما ان شئت .

(١) مقريزى ص ٢٤٨ ج ٢ والنجوم الزاهرة وابن دقماق

٨ — عمارة عبد الله بن عبد الملك

وفى سنة ٨٩ رفع سقف المسجد وكان مطاطأ عبد الله ابن عبدالملك أثناء ولايته على مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك (١) .

٩ — زيادة قرة بن شريك العبسى

وفى مستهل سنة ٩٢ هدمه قرة بن شريك بأمر الوليد ابن عبدالملك وهو يومئذ أمير مصر من قبله . وابتدأ فى بنيانه فى شعبان من السنة أى بعد سبع شهور من بدء هدمه . وجعل على بنائه يحيي بن حنظلة مولى بنى عامر بن لؤى وكانوا يجمعون الجمعة فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه فى شهر رمضان سنة ٩٣ (مكثت العمارة ١٤ شهرا) ونصب له منبرا جديدا وسيأتى ذكره . وزاد فيه من القبلى والشرقى وأخذ بعض دار عمرو وابنه عبد الله بن عمرو فأدخله فى المسجد وأخذ منهما الطريق الذى بين المسجد وبينهما وعوض ولد عمرو ما هو فى أيديهم من الرباع التى فى زقاق مليح فى النحاسين والمداسين وغير ذلك

(١) مقريزي ص ٢٤٨ ج ٢ وابن دقماق ص ٦٣ ج ٤

وصار للجامع أحد عشر بابا ، أربعة من الجهة الشرقية آخرها باب اسرائيل وهو باب النحاسين . وأربعة من الجهة الغربية شارعة فى زقاق كان يعرف بزقاق البلاط . وثلاثة من الجهة البحرية (١)

ويمكن القول ان الجانبين الشرقى والبحرى للمسجد الموجودين الآن انما أقيما على أثر حدى زيادة قرة المذكور . وزيادة قرة هى المرموز لها بحروف (ل ك ه ح ن م) من الرسم رقم (١) وبهذه الزيادة صار الجامع (ل م ن ى)

١٠ — زيادة صالح بن على

وفى سنة ١٣٣ زاد فيه صالح بن على بن عبد الله بن عباس وهو أول أمير ولى مصر لبنى هاشم من قبل أخيه أمير المؤمنين أبى العباس السفاح . زاد فى مؤخره أربع أساطين . (مؤخر المسجد يطلق على الجناح الغربى الآن لأنه فى مقابلة الصدر وهو الذى به المحراب) . وعمر أيضا مقدم المسجد عند الباب الاول . ويقال انه أدخل فى هذه الزيادة دار الزبير بن العوام وكانت غربى دار النحاس ، وكان قد تخلى عنها ووهبها لمواليه

(١) ص ٦٣ ج ٤ ابن دقماق و ص ٨ : ٢ ج ٢ مقريزى

لخصومة جرت بين غلمانه وغلمان عمرو بن العاص . واختط الزبير فيما يلى الدار المعروفة به . ثم اشترى عبد العزيز بن مروان دار الزبير من مواليه فقسمها بين ابنيه الاصبغ وأبى بكر . فلما قدم صالح أخذها عن أم عاصم بنت عاصم بن أبى بكر وعن طفل يتيم وهو حسان بن الاصبغ ، فأدخلها فى المسجد . وباب الكحل من هذه الزيادة وهو الباب الخامس من أبواب الجامع الشرقية . اه [1]

وهذه الزيادة هى (ى ن س ع) من الرسم المرقوم . وبها صار الجامع (ل م س ع) من هذا الرسم .

١١ — زيادة موسى بن عيسى

وفى سنة ١٧٥ زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمى وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد الرحبة التى فى مؤخره من حد شباك النحاسين الى نهاية ثلاثة أبواب من الابواب الشارعة الى هذه الزيادة وهى نصف الرحبة المعروفة بأبي أيوب ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة أخذ موسى دار الربيع

(١) ص ٦٥ ج ٤ ابن دقماق و ص ٢٤٩ ج ٢ مقريزى

ابن سليمان الزهرى شركة بنى مسكين بغير عوض للربيع ووسع بها الطريق وعوض بنى مسكين الحوانيت الملاصقة لدار خلف الكندى [1] . وهذه الزيادة هى (س ع ص ف) من الرسم وبها صار المسجد (ل م ص ف) من هذا الرسم

١٢ — زيادة عبد الله بن طاهر

وفى سنة ٢١٢ زاد فيه مثله من غربيه (القبلى الآن) عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو يومئذ أمير مصر من قبل المأمون . فأدخل فيه زقاق البلاط وقطعة كبيرة من دار الرمل حتى لم يبق منها غير دار الضرب . وقيسارية بدر والميضاة ورحبة كانت بين يدى دار الرمل . ودارا لعمرو بن محمد بن أبى ليلى الثقفى كان سفلها سقاية وعلوها مجلس على السقاية ، وكان قد ابتاعها من صالح الفرّا الوالى على حبس ابن أبى ليلى هذا بألف دينار ، فقبض الحارث بن مسكين القاضى عند ولايته هذه الدنانير وأمر بصرفها فى ابتياع دار تحبس على مثل شرائط هذه الدار ، وعوض من السقاية السقاية المقابلة لقيسارية

(١) ابن دقماق ص ٦٥ ج ٤ والمقريزى ص ٢٤٩ ج ٢

ذكا التى تحت دار ابن قديد . وأدخل فى ذلك أيضاً دارا كانت تعرف بيزيد بن رمانة ، ابتاعها من مالكيها . ذكر ان أكثرها فى صحن الجامع اليوم . وأدخل فيه أيضاً دارا كانت تعرف بدار العجلان مولى عمر بن الخطاب ، وكان العجلان متزوجا لصعبة ابنة وردان مولى عمرو ، فصارت الدار أوزاعا لبنى وردان فكان منها شىء للغيب والصوافى . وأدخل فيه دارا تعرف بأم ابان من بنى مسكين ، وعوض من ذلك دارين فى النحاسين تعرف احداهما بدكان قلية الخباز نقل اليها حبس بنى مسكين وبعض هذه الدار فى الجانب الغربى من رحبة أبى أيوب . وأدخل فيه دارا كانت تعرف بالفضل كان فيها سهمان من الصوافى وباقيها لأيتام من أهل فمن عوضهم عنها دارين بسوق بربر . وهذه الدار من خطة عبادة بن الصامت . وأدخل فيه أيضاً قطعة من دار قيس بن أبى العاصى السهمى المذكور ، وجعل منها أيضاً الطريق فى القبلة التى بينها وبين رحبة الحارث . وأدخل فيها أيضاً داراً تعرف بعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى ، كان بعضها محبسا ، وذكر انها فى صحن المسجد . وأدخل فيه أيضاً قطعة من دار حكيم بن يوسف .

وكان قد عاد ابن طاهر الى بغداد قبل اتمام هذه العمارة فأتمها عيسى بن يزيد الجلودى . وتكامل ذرع الجامع سوى الزيادتين ١٩٠ ذراعا بذراع العمل طولا فى ١٥٠ عرضا [١] .

وهذه الزيادة هى (ر ل ق ص) من الرسم فصار المسجد (ر م ق ف)

١٣ — رحبة الحارث

وفى سنة ٢٣٧ أمر أبو عمرو الحارث بن مسكين بن محمد لما ولى القضاء من قبل المتوكل على الله ببناء هذه الرحبة ليتسع الناس بها وكانت يتبايع فيها يوم الجمعة وهى البحرية من زيادة الخازن . وحول سلم المؤذنين الى غربى المسجد وكان عندباب اسرائيل . وبلط زيادة ابن طاهر . وأصلح بنيان السقف . وبنى سقاية فى الحذائين . وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع الناس بها أيضاً .

وهذه الرحبة فى الجهة القبلية والغربية من زيادة ابن طاهر كما يرى فى الرسم رقم (١) البادى ذكره اهـ [٢] .

(١) ابن دقماق ص ٦٥ ج ٤ والمقريزى ص ٢٤٩ ج ٢
(٢) ابن دقماق ص ٦٦ ج ٤ والمقريزى ٢٥٠ ج ٢

١٤ — الستائر زمن أحمد بن طولون

وفى سنة ٢٥٧ وضع أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع أحد عمال الخراج فى زمن أحمد بن طولون عمدا من خشب وعليها جسرا من خشب أيضاً وجعل عليها الستائر — لأن الحر اشتد على الناس فشكوا الى ابن طولون فأمر أبا أيوب بعمل ذلك . واستمرت الستائر الى ان قلعها الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٦ اه [١] .

١٥ — زيادة أبى أيوب

وفى سنة ٢٥٨ زاد فيه أبو أيوب أحمد السالف الذكر بقية الرحبة المعروفة برحبة أبى أيوب . والمحراب المنسوب الى أبى أيوب هو الغربى من هذه الزيادة عند شباك الحذائين وأدخل فى هذه الزيادة بعض دار خارجة بن حذافة وبعض دار أم ابان بنت الحارث بن مسكين . فأما الطريق التى تقابل شباك الحذائين فذكر الكندى انها دار كانت تعرف بيحيي الجابى وهى فيما بين دار حكيم وهذه الزيادة

---

(١) ابن دقماق ص ٦٨ ج ٤ والمقريزى ٢٥٠ ج ٢

وسبب هذه الزيادة انه وقع حريق فى مؤخر الجامع فعمر وزيدت فيه . ويقال ان أبا أيوب مات فى سجن ابن طولون بعد ان نكبه واصطفى أمواله وذلك فى سنة ٢٦٦ اه[1]

١٦ — عمارة خمارويه بن احمد بن طولون

وفى صفر سنة ٢٧٥ وقع حريق فى مؤخر الجامع أخذ من بعد ثلاث حنايا من باب اسرائيل الى رحبة الحارث فهلك فيه أكثر زيادة ابن طاهر والرواق الذى عليه اللوح الاخضر فأمر خمارويه بعمارته على يد احمد بن محمد العجيفى فأعيد الى ما كان عليه . وأنفق فيه ٦٤٠٠ دينار وكتب اسم خمارويه فى دائر الرواق المذكور اه[2]

١٧ — زيادة أبى حفص العباسى

وبين سنى ٣٣٦ و ٣٣٩ زاد فيه أبو حفص عمر بن الحسن القاضى العباسى فى أيام نظره فى قضاء مصر خلافة لأخيه محمد الغرفة التى يؤذن فيها المؤذنون فى السطح . وكان امام

(١و٢) ابن دقماق ص ٦٧ ج ٤ والمقريزى ٢٥٠ ج ٢

مصر والحرمين واليه اقامة الحج ، ولم يزل قاضيا بمصر الى ان صرف عن القضاء بالخصيبي فى ذى الحجة سنة ٣٣٩ وكان قد تولى سنة ٣٣٦ اه [1] .

١٨ — زيادة أبى بكر محمد

وفى شهر رجب من سنة ٣٥٧ زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقا واحدا من دار الضرب وهو الرواق ذو المحراب والشباكين المتصل برحبة الحارث ومقداره تسع أذرع ومات قبل أن يتمها فأتمها ابنه على وفرغت فى رمضان سنة ٣٥٨ اه [2] .

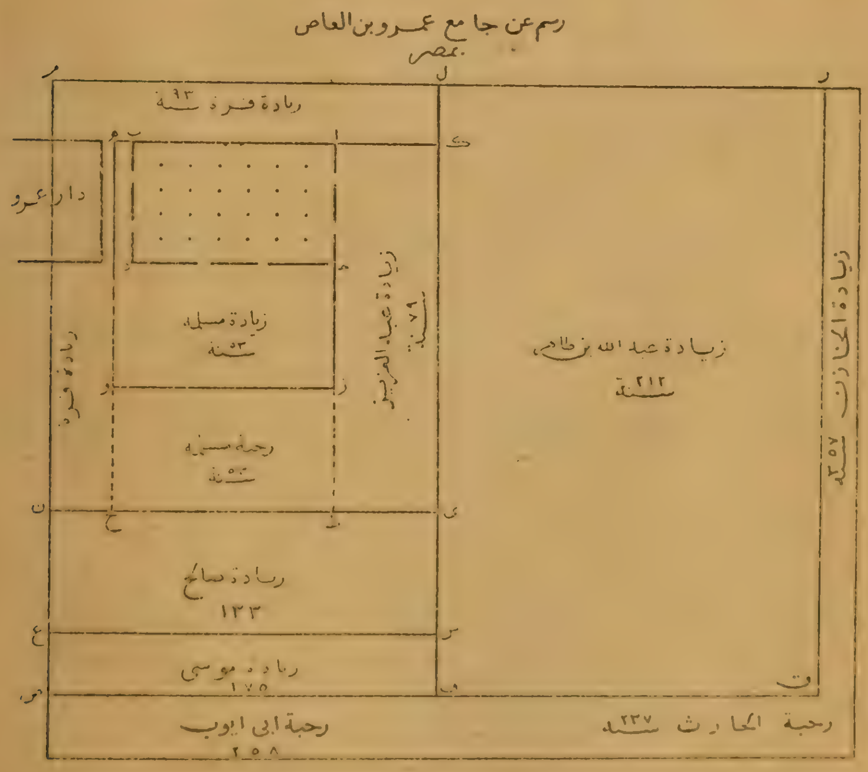
وهذه الزيادة هى قبلى زيادة ابن طاهر كما يرى فى الرسم رقم (١)

*
* *

والى هنا انتهت الزيادات التى زيدت فى المسجد . والرحاب التي اكتنفته من الجانبين الغربى والبحرى (القبلى والغربى الان) وكل ما سيأتى بعد انما هو اصلاح وتحسين وتنميق وتنتهى مدته الى زمن حريق الفسطاط سنة ٥٦٤ ثم يبتدئ الدور الثالث له من وقت اصلاحه على يد صلاح الدين

(١و٢) ابن دقماق ٦٨ ج ٤ والمقريزى ٢٥٠ ج ٢

يوسف بن أيوب وهو دور الاهمال والانحطاط اذ كانت العمائر فيه انما هي لحفظ كيانه فقط وكان يقوم بها بعض من الامراء والموثرين ابتغاء مرضاة الله وأحيانا كان ينفق عليها من مال السلطان أو من بيت المال . واليك الرسم رقم (١) السالف الذكر



١٩ — زيادة أبى الفرج يعقوب

وفى سنة ٣٧٨ زادفيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس

بأمر العزيز بالله الفاطمى الفوارة التى تحت قبة بيت المال . وهو أول من عمل فيه فوارة . وزاد فيه مساقف الخشب المحيطة بها على يد المعروف بالمقدسى الاطروش متولى مسجد بيت المقدس . ونصب فيها حباب الرخام التى للماء[1] .

٢٠ — عمارات الحاكم بأمر الله

وفى سنة ٣٨٧ جدد الحاكم بأمر الله بياض المسجد وقلع شيئاً من الفسيفساء التى كان فى أروقته وبيض مواضعها ونقشت خمسة ألواح وذهبت ونصبت على أبوابه الخمسة الشرقية وكان ذلك على يد برجوان الخادم واسمه ثابت فيها فقلع بعد قتله .

وفى سنة ٤٠٦ أمر الحاكم أيضاً بعمل رواقين فى صحن المسجد وقلع العمد الخشب التى كانت هناك منذ زمن ابن طولون — لأنه أراد دهنها بدهن أحمر وأخضر فلم يثبت عليها فقلعها . وجعل هذين الرواقين فصار بالمسجد ٢٤ رواقا

(١) ابن دقماق ص ٦٨ ج ٤ والمقريزى ٢٥٠ ج ٢ . والحب هو الزير الرخام بلسان أهل مصر ويقال له زلعة . والحب الخشبات الأربع التى توضع عليها الجرة ذات العروتين . وقيل الجرة الضخمة والخابية اهـ لسان

وهى ٧ فى المقدم (الايوان الشرقى) و ٧ فى المؤخر (الايوان الغربى) و ٥ فى شرقيه (بحريه) و ٥ فى غربيه (قبليه) اهـ[١]

٢١ — عمارات فى زمن المستنصر بالله

وفي سنة ٤٣٨ أمر المستنصر بالله الفاطمى بعمل الحجر المقابل للمحراب وبالزيادة في المقصورة[٢] فى شرقيها وغربيها حتى اتصلت بالخذائين فى جانبيها وبعمل منطقة فضة فى صدر المحراب الكبير . وجعل لعموديه أطواق فضة . وباشر عمارة ذلك عبد الله بن محمد بن عبدون وكتب اسم الخليفة على المنطقة المرقومة .

قال المقريزى : ولم تزل هذه المنطقة الى ان خلعها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٦٧ كما قلع مناطق الفضة من الجوامع بالقاهرة .

وفى سنة ٤٤٠ جددت الخزانة التى فى ظهر دار الضرب فى طريق الشرطة مقابلة لظهر المحراب الكبير

(١) ابن دقماق ص ٦٨ ج ٤ والمقريزى ٢٥٠ ج ٢

(٢) قف على المقاصير فى الاسلام فى موضع آخر من هذه المحاضرة

وفى سنة ٤٤١ طلا بالذهب بقية الجدار القبلى حتى اتصل التذهيب من جدار زيادة الخازن الى المنبر .

وفى أواخر سنة ٤٤٢ عمر القاضى أبو عبدالله أحمد بن محمد ابن أبى زكريا غرفة المؤذنين بالسطح وحسنها وجعل لها روشنا [(١)] على صحن الجامع وجعل بعدها ممرقا ينزل منه الى بيت المال وجعل للسطح مطلعا من الخزانة المستجدة فى ظهر المحراب الكبير وجعل له مطلعاً آخر من الديوان الذى فى رحبة أبى أيوب .

وفى سنة ٤٤٥ بنى المئذنة التى فيما بين مئذنة عرفة والمئذنة الكبيرة [(٢)] .

٢٢ — عمارة السلطان صلاح الدين يوسف

فى سنة ٥٦٤ أحرقت مدينة الفسطاط على يد شاور بن

(١) الروشن فى كتب اللغة الكوة وهو هنا « البلكون » أو المشرفية التى تشرف على الصحن كالموجود الآن بالجامع الازهر الشريف

(٢) المقريزى ٢٥١ ج ٢ وابن دقماق ٦٩ ج ٤ . وقال السيوطي فى حسن المحاضرة ص ٢٠٤ ج ٢ انه فى سنة ٤٦٢ زلزلت مصر حتى نفرت احدى زوايا جامع عمرو . ولكنه لم يبين ان كان الجامع أصلح أم لا .

مجير السعدى وزير العاضد الفاطمى [١] واحترق جامع عمرو على يد ابن سماقة باشارة الاستاذ مؤتمن الخلافة جوهر الذى أمر بحرقه خشية من ان يخطب فيه لبنى العباس [٢]

فلما استبد صلاح الدين بمملكة مصر جدد هذا الجامع سنة ٥٦٨ وأعاد صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه وجعل فى سقاية قاعة الخطابة قصبة الى السطح يرتفق بها من بالسطح وعمر المنظرة تحت المئذنة الكبيرة وجعل لها سقاية وعمر فى كنف دار عمرو الصغرى البحرى مما يلى الغربى قصبة أخرى الى محاذاة السطح وجعل لها ممشاة من السطح اليها يرتفق بها أهله وعمر غرفة الساعات (أى التى بها المزاول لمعرفة الاوقات) وحررت فلم تزل مستمرة الى أيام عز الدين ايبك التركمانى . وجدد بياض الجامع وأزال شعثه وجلا عمده وأصلح رخامه حتى صار جميعه مفروشا بالرخام [٣] وليس فى سائر أرضه شىء بغير رخام

(١) بينا أسباب الحريق فى المحاضرة الثانية التى خصت عن مدينة الفسطاط

(٢) مقريزى ٣٢٠ ج ٢

(٣) أمطرت السماء ليلة مطرا خفيفا صقل رخام صحن المسجد

حتى تحت الحصر [١] .

٢٣ — عمارة القاضى تاج الدين عبد الوهاب [٢]

ولما تولى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز قضاء القضاة بالديار المصرية ونظر الاحباس في الدفعة الثانية (بين

....

الجامع حتى لمع وجهه وتعارضت أشعة القناديل عليه . فقال على بن ظافر فى كتابه البدائع ص ١٤٤ :

أنظر الى حسن القناديل التى لاحت كشهب فى متون سماء
والصحن قد أبدى شهاب شعاعه اذ صار مصقولا بمر الماء
فكأنما هى أسطر من عسجد كتبت بظهر صحيفة بيضاء

وقال ابن الذروى

أيا حسن جامع مصر وقد تروى من الوابل المغدق
وضوء القناديل من فوقه كاسطر تبر على مهرق

(١) المقريزى ٢٥١ ج ٢ وابن دقماق ٦٩ ج ٤

(٢) تولى قضاء مصر (الفسطاط) فى شهر رمضان سنة ٦٥٤ وعزل فى شهر رجب من سنة ٦٥٥ . ثم أعيد فى جمادى الاولى سنة ٥٩ وعزل فى شوال سنة ٦١ ثم اعيد فى شهر رمضان سنة ٦٢ فلم يزل واليا الى ان مات فى ١٧ رجب سنة ٦٥ . اهـ ١٣٢ ج ٢ حسن المحاضرة

جمادى الاولى سنة ٥٩ وشوال سنة ٦١) أيام الظاهر بيبرس البندقدارى كشف الجامع بنفسه فوجد مؤخره قد مال الى بحريه ووجد سوره البحرى قدمال وانقلب علوه عن سمت سفله ورأى فى سطح الجامع غرفا كثيرة محدثة وبعضها مزخرف فهدمها عن آخرها ولم يسأل عن أصحابها بل أخذ الثياب وما وجد من الأمتعة ورماه في صحن الجامع ولم يدع سوى غرفة المؤذنين القديمة وثلاث خزائن لرؤساء المؤذنين لاغير . وجمع أرباب الخبرة فاتفق الرأى على ابطال جريان الماء الى فوارة الفسقية وكان يصل اليها من النيل . فأمر بابطاله لما كان فيه من الضرر على جدر الجامع . وعمر بغلات بالزيادة البحرية تشد جدار الجامع البحرى وزاد فى عمد الزيادة ماقوّى به البغلات المذكورة وسد شباكين كانا فى الجدار المذكور ليتقوى بذلك وأنفق مصروف العمارة من مال الاحباس[1]

٣٤ — عمارة السلطان بيبرس البندقدارى

ولما ضاق الحال على القاضى ابن بنت الاعز وخشى ان

(١) مقريزى ٢٥٢ ج ٢ والمدخل ٤٩ ج ٢

يتداعى الجامع كله الى السقوط وكان ماعمره من مال الاحباس كما تقدم حدث الصاحب بهاء الدين علي فى ان يتفاوضا مع السلطان فى عمارته من بيت المال . فسألا السلطان فى ذلك فأمر بعمارة الجامع فهدم الجدار البحرى من مقدم الجامع وهو الجدار الذى فيه اللوح الاخضر وحط اللوح وأزيلت العمد والقواصر العشر وعمر الجدار المذكور وأعيدت العمد والقواصر كما كانت وزيد فى العمد أربعة قرن بها أربعة مما هو تحت اللوح الاخضر والصف الثانى منه . وفصل اللوح المرقوم أجزاء وجدد غيره وطلى بالذهب وكتب عليه اسم السلطان وجليت العمد كلها وبيض الجامع بأسره وذلك فى سنة ٦٦٦ وصلى فيه شهر رمضان بعد فراغه ولم تتعطل الصلاة فيه لأجل العمارة

٢٥ — عمارة المنصور قلاون

وفى سنة ٦٨٧ شكا تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الوهاب ابن بنت الأعز قاضى قضاة الديار المصرية وناظر الاحباس بها الى السلطان قلاون سوء حال جامع عمرو

والازهر وان الاحباس على أسوأ حال وان تجـد الدين ابن الحباب أخرب هذه الجهة لما كان يتحدث فيها . وتقرب الى الامير علم الدين الشجاعى بان فى أطيان جزيرة الفيل الوقف الصلاحى على مدرسة الشافعية زيادة فقاسوا ما تجدد بها من الرمال وجعلوه للوقف وأقطعوا الاطيان القديمة الجارية فى الوقف وتقرب اليه أيضاً بان فى الأحباس زيادة من جملتها ماهو بالاعمال الغربية ومبلغه فى السنة ٣٠ الف درهم وان ذلك لجهة عمارة الجامعين وسأل السلطان فى اعادة ذلك وابطال ما أقطع منه . فلم يجب . وأمر الامير حسام الدين طرنطاى بعمارة الازهر وعز الدين الافرم بعمارة جامع عمرو فحضر الافرم الى الجامع ورسم على مباشرى الاحباس والترسيم عليهم وكشف المساجد لغرض كان فى نفسه فجدد بياض الجامع وجرد نصف العمد التى فيه فصار العمود نصفه الاسفل أبيض وباقيه بحاله . ودهن وجهة غرفة الساعات بالسليقون وأجرى الماء من البئر والساقية التى بزقاق الاقفال الموقوفتين على ميضاة الابارين الى الجامع ورمى ما كان بالزيادات من الاتربة . ولم يفعل بالجامع سوى ماذكر .

وما كان قصد السلطان الا أن يعمره ويزيل ضرره [1] .

٢٦ — عمارة سيف الدين سلار

وفى سنة ٧٠٢ تشعث الجامع وانفصل بعض أعمدته عن بعض وهدم بناء حيطانه من زلزلة حصلت فى أواخر السنة فهيأ الله له الامير سلار نائب السلطنة فى عصر الناصر محمد بن قلاون . ففوض لكاتبه بدر الدين بن خطاب اصلاحه وأمره أن يصرف جميع ما يحتاج اليه فهدم الحد البحرى من سلم السطح الى باب الزيادة البحرية والشرقية وأعاده الى ما كان عليه . وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية وأضاف الى كل عمود من الصف الاخير المقابل للجدار الذى هدمه عمودا آخر تقوية له وجرد العمد كلها وبيض الجامع بأسره وزاد فى سقف الزيادة الغربية رواقين وبلط سفل ما أسقف منها . وخرب بظاهر مصر وبالقرافتين عدة مساجد وأخذ عمدها ليرخم بها صحن الجامع . وقلع من رخام الجامع الذى كان تحت الحصر كثيرا من الالواح الطوال ورص الجميع عند باب

(١) المقريزى ٢٥٢ ج ٢ وابن دقماق ١٦ و٧٠ ج ٤

الجامع المعروف بباب الشرابيين فنقل من هناك الى حيث شاء ولم يعمل منه فى صحن الجامع شىء البتة . وكان فيما نقل من ألواح الرخام ما طوله ٤ أذرع فى عرض ١ ١/٦ . ذهب بجميع ذلك[١] .

٢٧ — عمارة ابن برواناه[٢]

ولما ولى علاء الدين بن بزواناه نيابة دار العدل قسم جامعى مصر والقاهرة فجعل جامع القاهرة (الازهر) مع نبيه الدين ابن السعرتى وجامع عمرو مع بهاء الدين ابن السكرى فحسن ابن السكرى لابن برواناه أسقاف الزيادة البحرية الشرقية وكانت قد جعلت حاصلا للحصر فنظفت وأسقفت وجعل لها دربزين بين البابين يمنع الجانبين من المارّ من باب الجامع الى باب الزيادة المسلوك منه الى سوق النحاسين وباط أرضها وزم بعض رخام الصحن بما بشره (قطعه) من العمد

(١) ابن دقماق ٧١ ج ٤ والمقريزى ٢٥٢ ج ٢ وابن اياس ١٤٦ ج ١ (٢) فى ابن دقماق ص ٧١ « برواناه » وفى المقريزى ص ٢٥٢ « مروانه » ولم أوفق الى اسمه لابحث عنه فى المعاجم

الرخام و بلط بعض المجازات وعمل عضائد (أعتاب أوطروفيات) تحوز الصحن عن مواضع الصلاة [١] .

٢٨ — عمارة الصاحب تاج الدين

ولما كان فى سنة ٦٩٦ اشترى الصاحب تاج الدين ابن فخر الدين ابن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم ابن حنا دارا بسوق الاكفانيين وهدمها وجعل مكانها سقاية كبيرة ورفعها الى محاذاة سطح الجامع وجعل لها ممشاة يتوصل اليها من سطحه وعمل فى أعلاها أربعة بيوت يرتفق بهم فى الخلاء ومكانا برسم أزيار الماء العذب ووجد الناس بذلك رفقا كثيرا . ثم هدم سقاية الغرفة التى تحت المئذنة المعروفة بالمنظرة وبناها برجا كبيرا من الارض الى العلو حيث كان أولا وجعل باعلاه بيتين للارتفاق أحدهما يختص بالغرفة المذكورة كما كان أولا والثانى يرتفق به من هو خارج الغرفة ممن يقرب منها ويوصل اليه من مجاز خارجها ثم عمر بظاهر السقاية الأولى [٢]

(١و٢) ابن دقماق ٧١ ج ٤ والمقريزى ٢٥٢ ج ٢

٢٨ — عمارة البار نبارى

وعمر القاضى صدر الدين أبو عبد الله محمد ابن البار نبارى سقاية فى ركن دار عمرو البحرى الغربى من داره الصغرى بعد ما كانت قد تهدمت فأعادها كأحسن ما كانت وجعل بجوارها مزيرة برسم الازيار وانتفع الناس بذلك كله [1] .

واليك صورة الجامع فى القرن الثامن الهجرى حسب وصف ابن المتوج المتوفى سنة ٧٣٠ رسم رقم (٢)

جامع عمرو

(١) ابن دقماق ٧١ ج ٤ والمقريزى ٢٥٣ ج ٢ وحسن

٢٩ — سبيل النشو [١]

ولما أنشأ الوزير تاج الدين عبد الوهاب الملكى الشهير بالنشو السبيل بجامع عمرو بعد سنة ٧٧٦ قال فيه فخر الدين ابن مكانس ما يأتى :

أنشا القطيم النشو لما ارتقى ... وزاره زادته فى وزره
بالجامع العمرى سبيلا وقد ... قالت له عنه بنو مصره
هذا سبيل حاله فاسد ... وزيره يرشح من ... اه [٢]

٣٠ — عمارة الرئيس برهان الدين المحلى

وفى سنة ٨٠٤ كان الجامع قد تشعث ومالت قواصره ولم يبق الا ان يسقط وأهل الدولة بعد موت الملك الظاهر برقوق فى شغل من اللهو عن عمل ذلك . فانتدب الرئيس برهان الدين ابراهيم بن عمر بن على المحلى وينتمى فى نسبه

---

(١) تولى الوزارة فى سنة ٧٧٦ ثم عزل وأعيد مرارا كما هو مذكور فى ص ١٦٩ ج ٢ حسن المحاضرة المحاضرة ١٦٨ ج ٢

(٢) مطالع البدور ٧٣ ج ٢ وحسن المحاضرة . ويمنعنا الحياء من ذكر الكلمة الاخيرة التى رمزنا لها بالنقط والتي جماها ٣٧٥

الى طلحة بن عبد الله أحد العشرة رضى الله عنهم . وكان رئيس التجار يومئذ بديار مصر لعمارة الجامع بنفسه وذويه وهدم صدر الجامع بأسره فيما بين المحراب الكبير الى الصحن طولا وعرضا وأزال اللوح الاخضر وأعاد البناء كما كان أولا وجدد لوحا آخر بدل الأول ونصبه كما كان . وجرد العمد كلها وتتبع جدر الجامع فرم شعثها كله وأصلح من رخام الصحن ما كان قد فسد ومن السقوف ما كان قد وهى وبيض الجامع كله فصار جديدا بعد ما كاد ان يسقط لولا أقام الله عز وجل هذا الرجل مع ما عرف من شحه وكثرة ضنته بالمال حتى عمره فشكر الله سعيه وبيض محياه . قال المقريزى : ولم يتعطل منه صلاة جمعة ولا جماعة فى مدة عمارته . اه[1] .

---

(١) مقريزى ٢٥٣ و ٣٦٨ ج ٢ وذكرت هذه العمارة في الخطط التوفيقية ص٥و٨ ج ٤ مرتين مرة باسم ابراهيم بن عمر بن على . ومرة باسم برهان الدين ابن عمر بن على كأنها عمارتان . والصواب ما قلناه

٣١ — عمارة السلطان قايتباى

وفى سنة ٨٧٦ توجه السلطان قايتباى الى جامع عمرو وكشف عما تهدم من حيطانه وسقوفه وأمر ببنائه من ماله وقيل انه صرف عليه ٥٠٠٠ دينار [١] .

* * *

وأول عمارة ذكرت بعد ذلك فى كتب التاريخ الشهيرة هى التى أجراها مراد بك سنة ١٢١١ والغالب انه حدثت قبلها عدة عمارات لأن حالة الجامع وتكرار العمارات فيه من قبل يزيدان فى احتمال وقوع هذا الأمر

٣٢ — عمارة مراد بك محمد

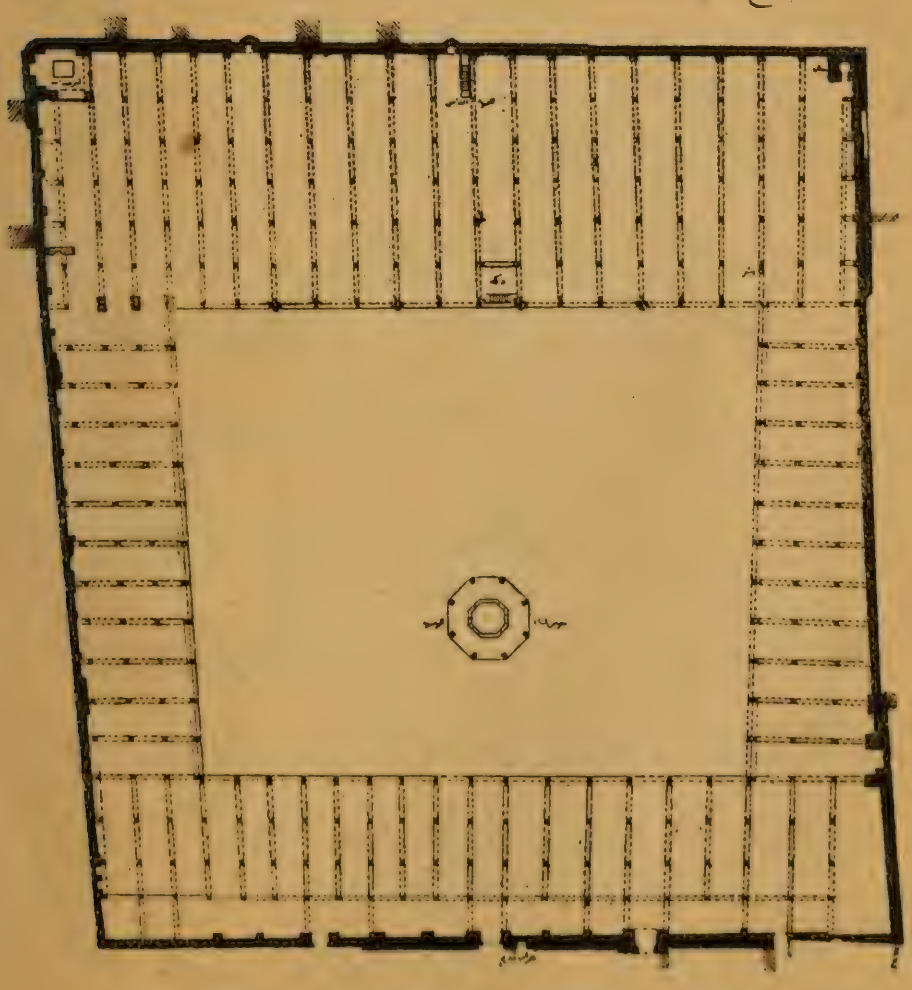
ولما خرب الجامع بخراب ماحوله من مدينة الفسطاط وأصبح مهجورا لبعده عن السكن واختبائه بين الأتربة والكيمان [٢] رأى الامير مراد بك أن يهدمه كله لسقوط سقفه

(١) ابن اياس ١٢٩ و١٥٣ ج ٢ والخميس ٤٣٤ ج ٢

(٢) راجع المحاضرة الثانية عن مدينة الفسطاط

وأعمدته وميل شقته اليمنى بل وسقوطها فاهتم لذلك وعهد باصلاحه الى نديمه الحاجّ قاسم المعروف بالمصلى فصرف عليه أموالا عظيمة وأقام أركانه وشيد بنيانه ونصب أعمدته وكمل زخرفته وبنى به منارتين وجدد جميع سقفه بالخشب النقي وبيضه

جامع عمرو



رسم رقم (٣)

فتم على أحسن ما يكون وفرشه بالحصر الفيومى وعلق به القناديل.
(والرسم رقم ٣) يبين حالة الجامع بعد هذه العمارة مباشرة وهو من نتائج استكشافات لجنة حفظ الآثار العربية كما سيأتى بعد. أما اللوحتان الرابعة والخامسة فتبينان بعض مناظر داخل الجامع للمبانى التى أجراها مراد بك.

وحصلت به الجمعية آخر جمعة من رمضان سنة ١٢١٢ فحضر الأمراء والاعيان والمشايخ وأكابر الناس وعامتهم وبعد انقضاء الصلاة عقد الشيخ عبد الله الشرقاوى مجلسا وأملى حديث «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة» وآية «انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وأتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين» وعند فراغه ألبسه الامير فروة من السمور. وألبس الخطيب مثلها[1]

وقد أشار الى هذه العمارة بما كتبه على أربع لوحات من الرخام.

الأولى: أعلى الباب الغربى أسفل المنارة ومنقوش بها ما نصه:

---

(١) الجبرتى ١٧٠ ج ٣

أحي لنا ربنا بيتاً لطاعته … وكان من قبل مصباحا بها فطفى
وانقض بنيانه والمسلمون غدوا … من أجله قاصرين الباع فى أسف
لأنه من بقايا فرقة طهرت … أميرها عمرو والسهمى غير خفى
ومذ أراد تعالى بالعمار له … أنشاه مولى جواد بالمراد يفى
فصار يحكى البنا احسانه أبدا … وانما يعمر الآيات فى الصحف
ونشوة العز قد قالت مؤرخة … يسمو العزيز مراد جامع الشرف
١٢١١

الثانية: أعلى الباب الغربى الوسط

بمسجد الفضل عن عمرو أجدّ بنا … قد فاز بالخير من لله جدده
وانما يعمر الآيات شاهدة … له بفوز وان الله أسعده
ونشوة السعد قد قالت مؤرخة … أنشأت حمدا مراد الحى مسجده
١٢١١

الثالثة: أعلى المحراب الكبير الداخلى

أنظر لمسجد عمرو بعدما درست … رسومه صار يحكى الكوكب الزاهى
نعم العزيز الذى لله جدده … مير اللواء مراد الآمر الناهى
له ثواب جزيل غير منقطع … على الدوام بأنظار وأشباه
لاح القبول عليه حين أرخه … هذا البناء على مراد الله
١٢١١



اللوحة الرابعة



منظر الجناح القبلى الشرقى من الايوان القبلى بجامع عمرو قبيل سقوطه
(من محفوظات لجنة الآثار العربية)

الرابعة : أعلى المحراب الصغير الموجود يسار المحراب الاول وهو الذى على سمت محراب عمرو بوجه التقريب

مسجد ابن العاص أضحى   بعد هدم قد أصابه
كعبة يسعى اليها   يرتجى فيه الاجابة
جمل التاريخ رجح   قد بنى هذا الصحابه
١٢١١

*
* *

ولما جاء الفرنساويون جرى عليه ماجرى على غيره من الهدم والتخريب وأخذ الاخشاب حتى أصبح بلقعا أشوه مما كان قبل العمارة [١] .

ثم أخذ يضمحل شيئاً فشيئاً حتى سقط الجناحان البحرى والقبلى عدا بعض أعمدة فى الجناح القبلى بقيت قائمة ولكنها متداعية حتى سقطت بعد سنة ١٣٠٠ (وهى المبينة فى اللوحة الرابعة) وكذلك السقف فانه سقط كثير منه . وفى تلك المدة لم يعمل به الا بعض عمارات قليلة الأهمية كبلاط و بياض وغير ذلك

وفى سنة ١٣١٧ عمل به ديوان الاوقاف عمارة كبيرة فجدد السقف وأصلح بعض البناء و بلطه و بيضه وصرف عليه

(١) الجبرتى ١٧٠ ج ٣

مبلغا عظيما فأصبح الايوان الشرقي كما يرى فى اللوحة الخامسة

٣٣ — أعمال لجنة حفظ الآثار [١]

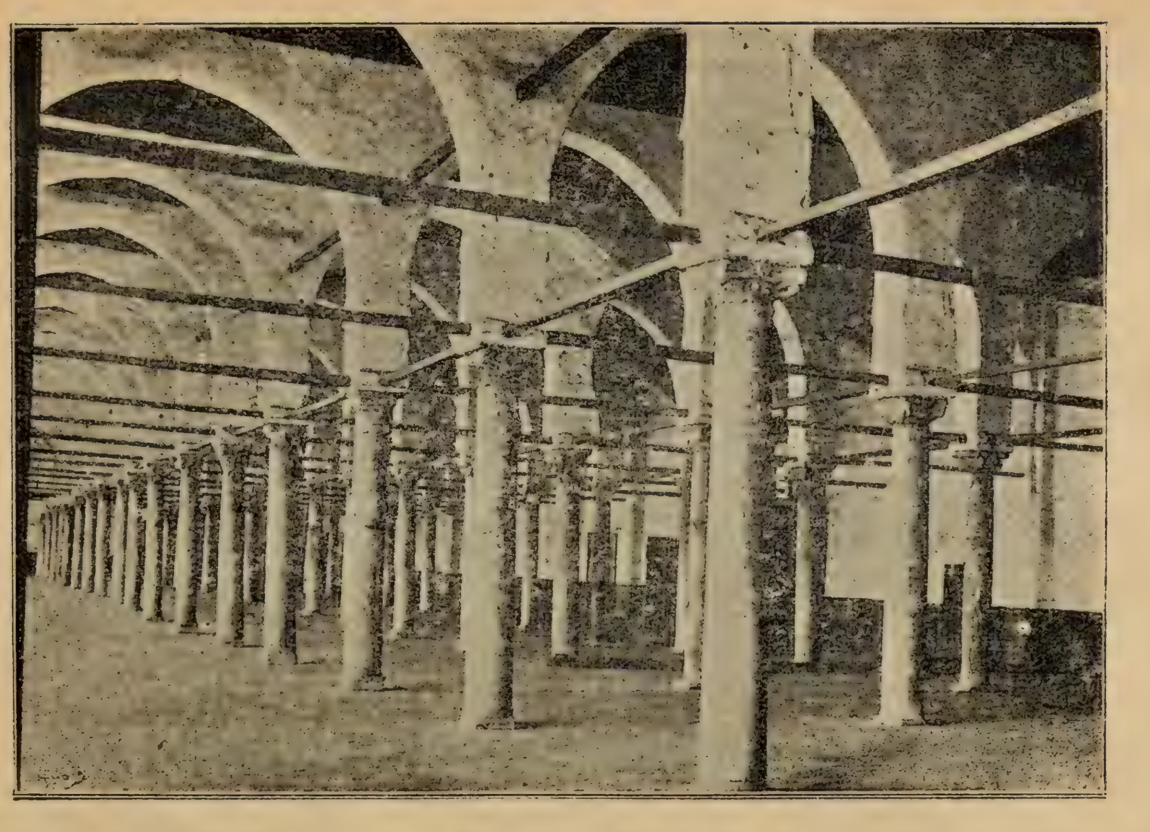
وفى شهر ذى الحجة من سنة ١٣٢٣ ألفت سعادة رئيس اللجنة نظرها الى الحالة السيئة التى أصبح عليها جامع عمرو وقال : ان حفظ هذا الأثر القديم مما يجدر باللجنة الفكر فيه من جميع الوجوه . فوافقت اللجنة باتحاد الآراء على هذا الاقتراح وصرح كل من صابر بك صبرى «المرحوم» وهرتس بك بأن هذا الجامع لا يزال به عدا الأعمدة التى من الرخام الكثيرة العدد بعض بقايا من الزخارف جديرة بالحفظ .

وبناء عليه تقرر ان يفحص القسم الفنى للجنة بكل عناية هذا الأثر ويقدم عنه تقريرا يبين فيه نفقات أعمال الاصلاح الضرورية . عندذلك قال سعادة حسين فخرى باشا (المرحوم) ان هذا الأثر له فائدة تاريخية عظمى ويتعين فحصه فى محله حتى تعاد اليه معالمه الاصلية بقدر الامكان [٢] .

(١) بينا تاريخ تشكيل اللجنة وبيان أسماء حضرات أعضائها فى المحاضرة الرابعة التى خصت عن جامع ابن طولون

(٢) مجموعة أعمال اللجنة ص ١٥ ج ٢٣

اللوحة الخامسة



منظر جزء من الايوان الشرقى بجامع عمرو

(رسم على افندى يوسف بمصلحة تنظيم مصر)



وفى ٢ محرم سنة ١٣٢٤ انتقل القسم الفنى الى الجامع ليفحص على وجه العموم أهم نقط مشروع تجديده فرأى ان الوجهة الاصلية وهى الغربية مؤازية لجدار القبلة وفيها ثلاثة أبواب أكبرها وهو القبلى يؤدى بالداخل منه الى الصحن وهذه الابواب طرازها بسيط وبجانب الأوسط منها محراب يحيط به اطار من زخارف الجص ويعلوه طراز صغير من الجص أيضاً (١)

أما الوجهات الثلاثة الأخرى فهى مجردة عن الزخارف وبها بعض شبابيك صغيرة وكبيرة مسدودة يعلو كل واحد منها عقد من الشكل الستينى محكم البناء من الآجر .

أما داخل الجامع فهو عبارة عن متسع مستطيل الشكل على غير انتظام والايوان الشرقى منه لا تزال به جميع بوائكه بخلاف الغربى الذى ليس به الابائكة واحدة . وعمد الايوانين البحرى والقبلى مطروحة فى الارض ويرتكز على العمد القائمة عقود مختلفة فى السعة تحمل سقفا بسيطا ترى العروق الخشبية منه . وتيجان الاعمدة مفيدة فى بابها لكثرة اختلافها وكلها

(١) سنتكلم على هذا المحراب فيما بعد

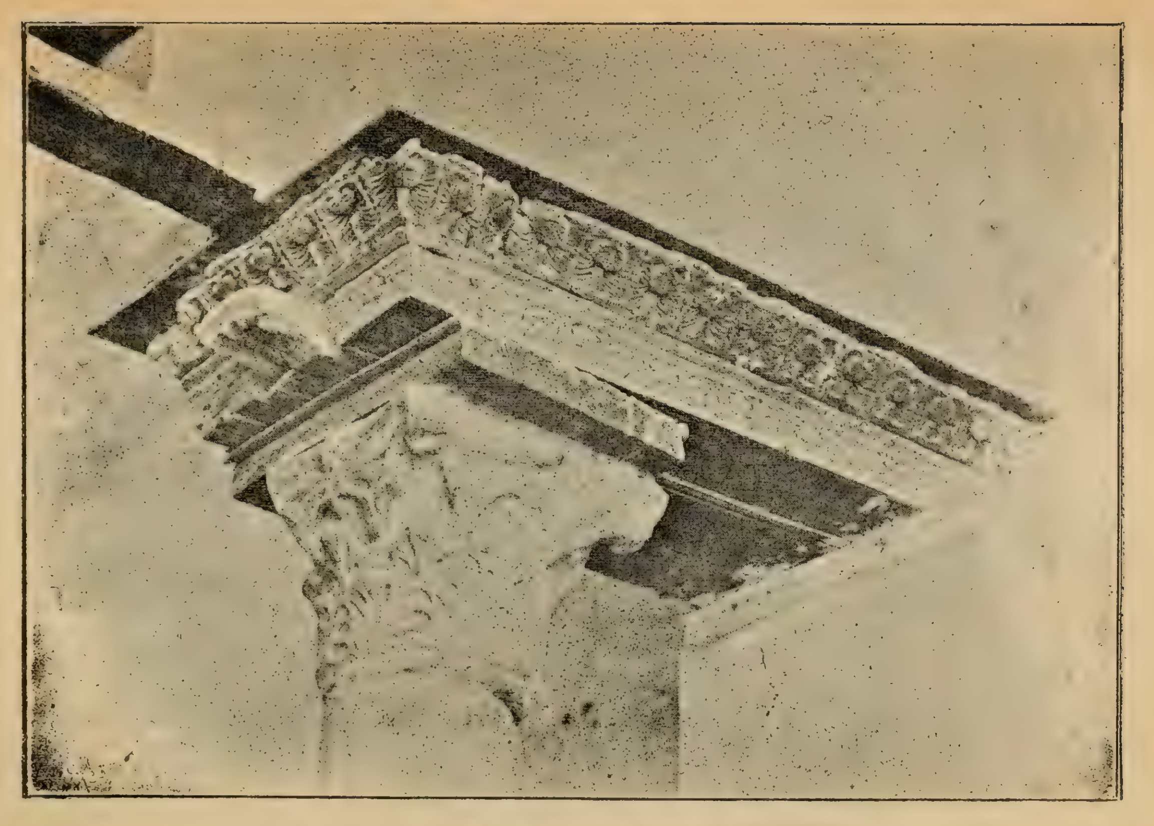
لاشك آتية من مبان يونانية أو رومانية . (وهى واضحة فى اللوحة الخامسة الماضية) وقد ترى من بينها قطعتان أو ثلاثة من الطبالى الخشب مرسوم عليها أشكال زهرية قديمة . وهذه القطع لا شك فى كونها من عهد القرون الأولى الهجرية . (أنظر اللوحة السادسة) وكذلك بقية الشبابيك الجبس فى الحائط الغربى يظهر انها قديمة العهد .

وبوسط الصحن حوض حنفيات حديث العهد أيضاً وبه بعض النخل والشجر الصغير .

ولما لم يكن ثمت رسم يساعد على اصلاح الجامع على الحالة التى كان عليها قديما . فكل اصلاح يعول على اجرائه فيه ينبغى ان يكون قاصرا على تتبع المعالم الاصلية التى لاتزال ترى أو التى تظهر فيما بعد .

ومن هنا يتعين الشروع قبل كل شىء بالبحث فى أرضية الجامع عما عساه يوجد فيها من آثار الأساسات التى زالت جدرانها ، وبواسطتها يمكن وضع خطة تفصيلية للأعمال التى تجرى فيه . ويجب ان تشمل هذه الخطة على الخصوص اعادة الايوانين القديمين على ما كانا عليه واصلاح الايوانين

اللوحة السادسة



منظر طبلية بعمود بالجناح القبلى من الايوان الشرقى بجامع عمرو
(رسم على افندى يوسف)



الموجودين وايجاد صحن الجامع — ولذلك يقترح القسم الفنى ان يوضع تحت تصرف باشمهندس اللجنة ٥٠ جنيها من أجل عملية الجسِّ الاولى والبحث داخل الجامع ثم درج هذا الاثر بين الآثار التاريخية اه [١]

ولما تمت عملية الاستكشاف فى صفر سنة ١٣٢٤ عرض جناب الباشمهندس على القسم الفنى نتيجة ابحاثه وان الحفر كان فى عدة مواضع من الجامع اكتشفت فيها حيطان من أعصر مختلفة (أنظر الرسم رقم ٣ الذى عمل خصيصا عن هذه الاستكشافات فى ص ٤٦ من هذه المحاضرة) وانه يستحسن الاستمرار فى أعمال الحفر حتى تنكشف جميع الحيطان المماثلة للتى اكتشفت وبعد كشفها يمكن الحكم على مقدار أهميتها.

فوافق القسم الفنى على اقتراحه وطلب ان يكون الحفر شيئًا فشيئًا حتى لا يزدحم الجامع بالاتربة فتحول دون اقامة الشعائر اه [٢] .

*
* *

وفى شهر ربيع الاول سنة ١٣٢٥ زار القسم الفنى مرة

(١ و ٢) مجموعة أعمال اللجنة ص ٤٦ و ٦٦ ج ٢٣

ثانية هذا الجامع . ولما كانت أرضيته منخفضة عن أرض الشارع بحث فى الوسائل اللازم اتخاذها لملافاة هذا الانحدار فرأى من الضرورى تخلية جوانب الجامع وطلب توجيه نظر ديوان الاوقاف الى ازالة بعض المنازل المجاورة للجامع وتابعة له اه[1] .

ولما كان اصلاح هذا الجامع العظيم والأثر الفخيم يتكلف مبلغا عظيما جداً ولم يكن له من الاوقاف مايحمل على تجديده رؤى ان أيسر شىء يسهل تجديده هو عمل دعوة عامة الى الراغبين فى المبرات وتخليد الحسنات من المسلمين الذين يحافظون على آثار اسلافهم وأعلنت هذه الدعوة فى آخر جمعة من رمضان سنة ١٣٢٩ جاء فيها بعد ذكر ماضى هذا الجامع وما كان عليه من الفخامة والشأن العظيم مامختصره :

« ذلك هو ماضى جامع عمرو . والذى يزوره فى هذه الايام يرجع والأسى مالىء قلبه اذ كيف تطمئن نفوس تغار على آثار سلفها وهى ترى أعظم أثرلهم قد ذهب البلى ببهجته وبدل الزمان من رسمه وأصبح على شفا جرف الزوال . وكان

(١) مجموعة أعمال اللجنة ص ٥٤ ج ٢٤

يذكر بأعظم عمل قام به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصر . وأطلاله اليوم تدعو الى بذل أقصى الجهد لاعادة رونقه ، والقيام بصيانته ، واظهاره بمثل عظمة الاسلام ودخول العرب فى مصر .

ان المجد القديم والشرف التليد اذا لم يجدا من الخلف من يحافظ على بقائهما يوشك أن يصبحا أثراً بعد عين فلا يبقى منهما الا الذكرى التى تهيج القلوب وتحزن الأنفس . فمن سعادة الأمة ان يوجد من أبنائها من يحرك العواطف للمبادرة الى أشرف الاعمال خوفاً من ان يفوت الوقت فلا يبقى الا الندم والحسرة .

جامع عمرو ينادى الأمة الحاضرة ليكتب لها فى صحيفتها التاريخية أكبر مما كتب لمن سبقها والأمة الآن على خير ما كانت عليه فى أى دور لها علما ورفاهة ورقيا يتعاون أهلها على البر والتقوى ويقومون بمساعدة كل مشروع خيرى .. الخ »

*
* *

ويجدر بنا بعد ان انتهينا من ذكر الزيادات والعمارات والتغييرات التى طرأت على الجامع ان نتكلم الآن على بعض

أشياء هامة فيه وبعض تفصيلات مما أجملناه فنقول :

٣٤ — السبب فى اختلاف أشكال وأحجام العمد فى الجامع

لم يكن فى عهد ولاة الخلفاء الراشدين ولا من بعدهم من الأمويين والعباسيين ولا فى عهد الدولة الطولونية ومن بعدها من الاخشيديين والفاطميين والايوبيين والمماليك — لم يكن فى عهدهم صناع لقطع العمد الرخام ولم يدل تاريخهم على اعتنائهم باستخراج الاحجار الضخمة من مقالعها .

ويظهر من رؤية العمد الموجودة فى أبنيتهم ان بعضها من الصناعة المصرية القديمة وبعضها من الصناعة اليونانية الرومانية . ويظهر من أقوال المؤرخين انهم كانوا عند احتياجهم للعمد أو الاحجار الكبيرة المهمة يأخذونها من المعابد الأثرية العاطلة حتى ان بعض الجائرين تعدى على المساجد والكنائس العامرة وأخذ عمدها ومنهم من اغتصب الدور التى بناها الملوك والامراء قبلهم ونقل عمدها وأحجارها لبناء مسجده أو مدرسته . ودليلنا ما يأتى :

(١) لما أراد أحمد بن طولون بناء جامعه سنة ٢٦٣ قرر له

ثلاثمائة عمود رخام فقيل له لا تجدها الا اذا أرسلت الى الكنائس فى الارياف والضياع الخراب فتحملها منها فأنكر ذلك ولم يحذ حذو سابقيه من الأمراء وغيرهم فى أخذ أعمدة الكنائس اللهم الا ماركب منها فى المحراب فعانى تعبا كثيرا حتى بنى الجامع كما هو — وقد فصلنا أمره فى المحاضرة الثالثة التى خصصت لجامع ابن طولون .

(٢) لما أنشأ محمد بن عبد الله الخازن المسجد الجامع بالجيزة سنة ٣٥٠ احتاج الى عمد رخام فأرسل رجالا ليلا الى كنيسة باعمال الجيزة فخلعوا اعمدها ونصبوا بدلها أركانا وحملوها الى الجامع

وكان أبو الحسن ابن أبى جعفر الطحاوى مشارفا للجامع مع الخازن فترك الطحاوى مذ ذاك الصلاة فيه تورعا وقد كان يصلى فى جامع الفسطاط (جامع عمرو) وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من الكنائس بالاسكندرية وأرياف مصر . وبعض الجامع من بناء قرة بن شريك عامل الوليد ابن عبد الملك [1] .

---

(١) ص ٣٣٣ ج ١ مقريزى . وتولى قرة على مصر سنة ٩٠ واستمر حتى مات سنة ٩٦ وكان ظلوما عسوفا . قيل كان يدعو

(٣) لما أنشأ صلاح الدين يوسف قلعة الجبل هدم ما هنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام الصغار التى كانت بالجيزة ونقل ما وجد بها من الحجارة وبنى به السور والقلعة وقناطر الجيزة بعد سنة ٥٧٢ ... الخ [1]

(٤) لما أنشأ الظاهر بيبرس البندقدارى جامعه سنة ٦٦٥ أحضر له العمد الرخام من سائر البلاد التابعة لحكمه [2].

(٥) لما أراد الملك المنصور قلاون بناء مارستانه والقبة والمدرسة سنة ٦٨٣ عهد عمل ذلك الى الأمير سنجر الشجاعى فجمع صناع القاهرة ومصر ومنعهم ان يعملوا لأحد شغلا ونقل من قلعة الروضة ما احتاج اليه من العمد الصوان والرخام والقواعد والاعتاب والرخام البديع وصار يشغل

....

بالخمر والملاهى فى جامع عمرو

أخرج أبو نعيم فى الحلية قال: قال عمر بن عبد العزيز: الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز — امتلأت والله الارض جورا . أنظر حسن المحاضرة ص ٩ ج ١

(١) مقريزى ص ٢٠٣ ج ٢ (٢) مقريزى ص ٣٠٠ ج ٢

الناس قهرا عنهم حتى اذا مرّ أحد ولو جليلا ألزموه ان يرفع حجرا ويلقيه فى العمارة . فتورع بعض الناس عن الصلاة فى المدرسة وكتب جماعة الى الفقهاء فتيا صورتها « ما يقول أئمة الدين فى موضع أخرج أهله منه كرها وعمر بمستحثين يعسفون الصناع وأخربوا ماعمره الغير ونقلوا اليه ما كان فيه فعمر به هل تجوز الصلاة فيه أم لا » . فكتب جماعة « لا تجوز فيه الصلاة » .. الخ .. ص ٤٠٧ ج ٢ مقريزى

(٦) لما حدثت الزلزلة فى سنة ٧٠٢ وخربت جامع عمرو أمر الامير سيف الدين سلار كاتبه بدر الدين بن الخطاب بعمارته فخرب عدة مساجد بظاهر مصر والقرافتين وأخذ عمدها بحجة ترخيم صحن الجامع الى آخر ماجاء فى ص ٣٩ من هذه الرسالة .

(٧) لما أنشأ الطنبغا المارداني جامعه سنة ٧٣٩ أخذ ما كان فى جامع راشدة من العمد وأدخلها فى جامعه (١)

وكان مكان راشدة كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى (٢) فلا يبعد ان تكون هذه العمد من الكنيسة التى أقيم الجامع مكانها

(١) مقريزى ص ٣٠٨ ج ٢ (٢) مقريزى ص ٢٨٢ ج ٢

(٨) لما أنشأ الامير طوغان الدوادار بركة الماء التى بوسط جامع آق سنقر « ابراهيم اغا » بالتبانة سنة ٨١٥ نصب عليها عمدا من رخام لحمل السقف أخذها من جامع الخندق الذى هدمه من أجل ذلك [١] .

(٩) لما أنشأ المؤيد أبو النصر شيخ جامعه سنة ٨١٨ أخذ العمد والالواح الرخام من الدور والمساجد وغيرها [٢] .

(١٠) أعمدة جامع التركمانى بباب البحر جلها ان لم نقل كلها من الآثار المصرية — الى غير ذلك من الاماكن الشاهدة للآن بأن عمدها وبعض أحجارها الكبيرة من البرابى وغيرها

هذا ولم يقتصر الامر على القطر المصرى بل تعداه الى سوريا وغيرها من البلاد الاسلامية كما فعل الظاهر بيبرس فى استحضار ما يلزمه من الرخام لجامعه . وكما فعل الخليفة المهدى العباسى لما عمر المسجد الحرام بمكة . فقد روى المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم ما يأتى

(١١) ان الخليفة المهدى لما عمر المسجد الحرام بمكة جعل بدائر صحنه أروقة ثلاثة على أعمدة رخام حملها المهدى من

---

(١) مقريزى ص ٣٢٠ ج ٢ (٢) مقريزى ص ٣٢٩ ج ٢

الاسكندرية فى البحر الى جده ثم حملت على العجل الى مكة .

(١٢) لما أراد هشام بن عبد الملك بناء جامع الرملة (قصبة فلسطين) قيل له ان للنصارى أعمدة رخام مدفونة تحت الرمل استعدوها لكنيسة «بالعة» . فقال لهم هشام : أما ان تظهروها واما ان نهدم كنيسة «لد» فنبنى هذا الجامع على أعمدتها فأظهروها وهى غليظة طويلة حسنة . اه

٣٥ — أعمدة الجامع

كان بالجامع فى القرن الثامن الهجرى ٣٧٨ عمود رخام سردها ابن المتوج المتوفى سنة ٧٣٠ ونقلها عنه ابن دقماق على هذا الترتيب

عدد	
١٤٠	مقدم الجامع (الايوان الشرقى) به ٧ صفوف كل صف به ٢٠ عمودا
٦	بأكتاف المحاريب الثلاثة كل محراب به عمودان
٤	زيادة بزاوية عمرو سفل المئذنة الشرقية القبلية
٤	زيادة فى العمد تحت اللوح الاخضر

عدد

٥١ بائكة تلى مقدمه من جانبه الغربى والى باب الاكفانيين ١٠ صفوف كل صف ٥ وفيها صف زيد فيه عمود

٢٥ بائكة ثانية تلى ذلك وهى من باب الاكفانيين والى جدار الجامع البحرى من غربيه ٤ صفوف كل صف ٦ وفيها عمود زيد الى جانبه آخر

٢٤ بائكة تلى ذلك من مؤخره ٣ صفوف كل صف ٨

٢٣ بائكة تلى ذلك من مؤخره ٣ صفوف كل صف ٨ خلا الصف الوسطانى مكان الفسقية فانه ٧

٢١ بائكة تلى ذلك ٣ صفوف كل صف ٧

٣١ بائكة تلى ذلك ٤ صفوف كل صف ٧ وفيه زيادة فى ٣ صفوف ٣ أعمدة

٣٥ بائكة أيضاً شرقى الصحن ٧ صفوف كل صف ٥

٢ بجوار السلم الغربى مما يلى البحرى

٢ سفل المئذنة البحرية مما يلى الشرقى

١٠ بدائر الفسقية حامل للقبة التى كانت بيت مال المسلمين وكان فيها مودع أموال الايتام

ولما كان يفهم من هذا البيان ان كلا من الايوان القبلى « الشرقى الآن » والبحرى « الغربى الآن » هو سبعة صفوف يتكون منها سبعة أروقة وان كلا من الايوان الشرقى « البحرى الآن » والغربى « القبلى الآن » هو خمسة صفوف يتكون منها خمسة أروقة كان مجموع الاروقة التى بالجامع ٢٤ رواقا كما ذكر فى صفحة ٣٢ من محاضرتنا هذه — ولما كان ذلك أمكننا ان نوضح شكل الجامع فى القرن الثامن وماقبله بما رسمناه فى صفحة ٤٢ من هذه المحاضرة . وبمقارنته بما ورد فى الرسم الافقى رقم ٣ الموضح فى صفحة ٤٦ الذى عمل عن عمارة مراد بك التى حصلت سنة ١٢١١ يتضح ماطرأ على الجامع من التغيير والانقلاب العظيم فى بحر القرون الخمسة

وقبل ختم هذا الموضوع نتكلم عن خرافات (١) تتناولها العامة عن بعض هذه الاعمدة ولنبدأ بالعمود الموجود تجاه المنبر من الجهة اليسرى والمحاط بسياج من الحديد ونسميه لهذا السبب بالعمود المسجون تسامحا

(١) هذه الخرافات وتلك السخافات لم تظهر الا فى القرن الثالث عشر الهجرى ولا نعلم مصدرها

— ١ — العمود المسجون

يزعم بعض الناس الذين لا خلاق لهم ان عمرا طلب من عمر بن الخطاب عمودا من مكة ليضعه فى هذا الجامع فأشار عمر الى عمود هناك وأمره بالمسير الى مدينة الفسطاط فلم يتحرك ، فأمره ثانيا وثالثا ، ولما لم يتحرك ضربه بالسوط ، وأخيراً أقسم عليه بحق الإله ان ينتقل الى تلك الجهة ، فامتثل . هذا ويدّعون ان العروق الظاهرة فى بدن العمود هى آثار ضرب السوط .

ومما زاد الطين بلة ان بعض الأدلاء « التراجمة » الذين يرافقون السواح أثناء زيارتهم لهذا الجامع ينسبون هذه الرواية التى لا صحة لها البتة الى النبى صلى الله عليه وسلم لا لعمر . والبعض الآخر يزعم ان هذا العمود كان فى احدى الكنائس وعصى عمرا عن الانتقال الى الجامع الذى كان يشيده فى ذلك الوقت فضربه بالسوط وأمر بجره .

ولسبب عصيانه كان نصيبه ان يضربه بعض الناس بالعصى والنعال بعد الفراغ من صلاة آخر جمعة من شهر رمضان



اللوحة السابعة



موضع العمود المسجون من المنبر والمحراب بجامع عمرو
(رسم على افندى يوسف)

واستمرت الحالة هذه الى ان أحاطه ديوان الاوقاف بسياج من حديد كما يرى فى اللوحة السابعة . ولو علموا ان هذا العمود ماوضع فى الجامع الا فى أوائل القرن الثالث الهجرى أثناء زيارة عبد الله بن طاهر لاهتدوا الى الصواب وحكموا بسخافة مايقولون .

هذا وانه توجد كتابة فى وسط هذا العمود قرأت منها ماياتى : « الله . محمد . لا إله الا الله محمد رسول الله . على . محمد محمد . عبد الباقى أحمد »

*
* *

ولمناسبة ذلك نذكر عمودا آخر من الزلط واقع فى ناصية منزل رقم ٢ بشارع أزبك بجهة بركة الفيل تجاه منزل نمرة ٢١ كل من رآه من الجهال بصق عليه لزعمهم انه « كافر » وانه من المردة الشياطين الذين يؤذون الناس ولا يمكنونهم من المسير أمامهم فى الطريق ليلا حتى صار بؤرة قاذورات يشمئز الانسان من رؤيته لما تراكم عليه من الأوساخ .

فالى متى يظل هؤلاء الناس على هذا الجهل الفاضح ومتى تزال هذه السخافات والخرافات من عقولهم حتى لا يسلقنا

الغير بألسنة حداد .

ويا أيها الناس كفوا عن هذا العمود فانه (أسلم) الآن

— ب — معبد السيدة نفيسة

وفى آخر الرواق الثانى من الايوان الشرقى من الجهة البحرية قبلة يكتنفها عمودان من الرخام ويعلوها مقرنص بالجص يزعم بعض الناس انها كانت معبدا للسيدة نفيسة رضى الله عنها . ويزعم البعض الآخر انها معبدا للسيدة فاطمة الزهراء رضوان الله عليها بنت الرسول صلوات الله عليه . وهذا لا صحة له لأن السيدة فاطمة الزهراء انتقلت الى رحمة الله تعالى بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بمائة يوم وقبرها بالمدينة . وأما السيدة نفيسة رضوان الله عليها فقد سكنت بجوار مقامها المشهور ومعبدها به حتى انتقلت الى رحمة الله ولم يجىء عنها فى كتب التاريخ انها كانت تتعبد فى الجامع العتيق البتة .

ويغلب على ظنى انه كان بجوار هذه القبلة باب زاوية



اللوحة الثامنة

(١)



عمودا البرقان

(٢)



منظر الحنفية بوسط الصحن

(رسم على افندى يوسف)

فاطمة ابنـة عفان [1] الذى بينتـه بالرسم رقم ٢ فى صفحة ٤٢ وفاطمة هذه كانت في القرن الرابع الهجرى .

ولم يرد فى كتب الخطط والانتصار والجبرتي بل وكتب التاريخ شيء عن هذه القبلة ويظهر انها حديثة العهد .

والعمودان المكتنفان للمحراب (رسم رقم ١ من اللوحة ٨) يزعم الناس انهما يشفيان من داء اليرقان [2] وذلك بأن يأتى

---

(١) هو عفان بن سليمان البغدادى كان رجلا تاجرا كثير المال قيل لم يخلف عقارا لذريته وانما جعلها صدقة لله تعالى وكان لا يبيت فى كل ليلة حتى يطعم أهل ٥٠٠ بيت وكان ياتى الحاج من العقبـة بطعام من مصر واشترى له أحمد بن سهل ألف جمل من بر فبلغ ثمنها الى ثلاثة أمثال . ففرقها على الارامل والفقراء احتسابا لله تعالى . مات سنة ٣٢٦ ودفن بداره بجوار زقاق القناديل وله أعمال عظيمة وردت فى ص ١٣٢ من التحفة على هامش نفح الطيب ج ٤

(٢) اليرقان هو انحباس المواد الصفراوية فى الجسم وعدم تصريفها كما فى الحالة الطبيعية فتـلون الجسم وبياض الاعـين بلون أصفر ليمونى فاقع ويتعلق بذلك ظواهر مرضية أخرى كالدوخان والاغماء وفقد الشهية وعـدم تلون البراز . وتلون البول بلون أصفر غامق يكفى لصبغ الاقمشة البيضاء التى تغمس فيه .

المريض بعصير ليمون كثير يمسح به وجه العمود ثم يلعق العمود بلسانه حتى يسيل منه دم . وهذا العمل هو من قبيل الفصد يفعل ذلك ثلاث مرات كل يوم مرة فى الصباح . والحكمة فى اختيار الليمون دون غيره هى انه قاتل للميكروبات المعدية . وقابض ويذيب المواد الحجرية فتستعمل منظفة للسان واذا كانت كميتها واضحة فتكون معدلة لحموضة المعدة وملينة .

....

ويحدث هذا المرض فى الغالب من شرب الماء البارد عقب مشى سريع أو حمل شىء ثقيل أو عند القيام من النوم . ومن الانفعالات النفسانية الفجائية . فيجب التحفظ من هذا كله صيانة للكبد .

وكانت العرب تشفى هذا القصد الموضح أعلاه بالكى فى الظهر فوق العقدة السابعة من العمود الفقرى وعلى فم المعدة من الامام .

هذا ويحسن دائما فى مثل هذا المرض عرض المريض على طبيب مختص لفحصه .

وفى المستطرف عند ذكر الخطاف قال : وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بزعفران فيذهب فيأتى بحجر اليرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه ان اليرقان حصل لأولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان ويحكه ويستعمله اه

ولما رأت وزارة الاوقاف المواد المدممة والافرازات المخاطيـة والقيحية التى تنتج من هـذا العمل صنعت فى شهر ربيع الاول سنة ١٣٣١ على هذين العمودين شبكة من حديد لتمنع العامة من هذا الفعل القذر المبنى فى الغالب على الجهل وخيرا فعلت .

هذا ويوجد عمود آخر فى سبيل مسجد الجاى اليوسفى بسوق السلاح المنشأ سنة ٧٧٤ (ذكر فى الخطط المقريزية وفى الخطط التوفيقية ٧٦٨ وهو خطأ) نوه عنه المغاربة فى عصر العزيز المغفور له محمد على باشا بأن له مزية يقال انها جربت فصحت وهى ان من يكن به داء اليرقان ونحوه من الداآت الباطنية يأتيه ويدهنه بماء الليمون ثم يلحسه بلسانه ويكرر لحسه حتى يخرج من اللسان دم اسود . فاذا استعمل ذلك ثلاث مرات فانه يبرأ باذن الله تعالى . فعند ذلك ظهر هذا العمود بهذه المزية واستعمله كثير من الناس واستمروا على ذلك الى زمن المرحوم عباس باشا ثم منعوا من استعماله . ويقال ان سبب المنع انه ازدحمت عليه الناس رجالا ونساء حتى ان بعض السارقين رأى امرأة على صـدرها حلى كثيرة فأراد أخـذها فشرط

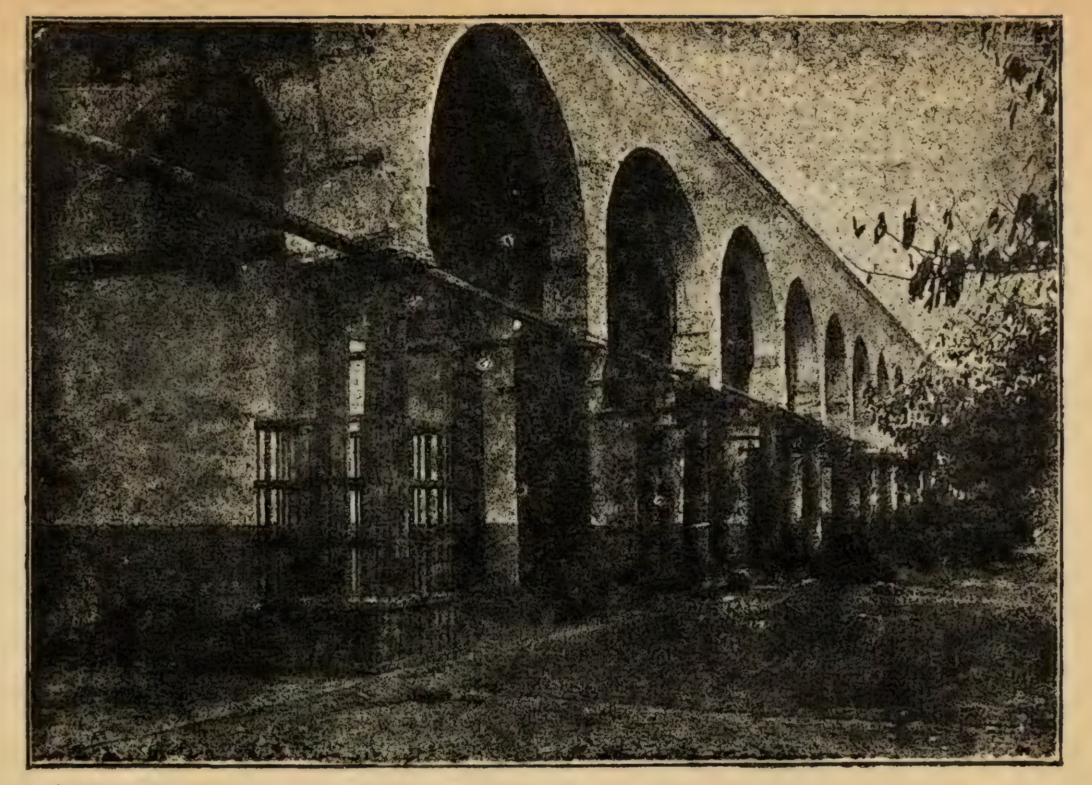
ثديها . فبلغ الضابط ذلك فمنع من الاتيان اليه وأمر بالبناء عليه فغطى بالجبس . وبعد تقادم العهد كشف بعض خدمة الجامع عن أسفله وجعل عليه دولابا من الخشب الى قدر القامة وعمل له بابا فلا يفتح الا بدراهم . قال المرحوم على باشا مبارك في خططه ص ١٠٦ ج ٢ : وهو الى اليوم معروف بذلك مستعمل لكثير من الناس . اهـ

وقد بني محل الدولاب بالآجر والجبس وبطل استعمال هذا العمود منذ ٤٠ سنة والحمد لله على ذلك .

— ج — عمودا كشف الخطايا

وعلى يسار الداخل من الباب الغربي القبلي الكبير عمودان متجاوران (أنظر اللوحة رقم ٩) يزعم بعض الناس انه لا يمكن المرور بينهما الا لطاهر من دنس الذنوب والخطايا ويقصدونهما بالمرور بينهما ليختبر الانسان حاله ويزدحمون عليهما بعد صلاة الجمعة الأخيرة من شهر رمضان ازدحاما شديدا ويحصل بينهم غوغاء وضحك وقلة احترام للمسجد ويقولون قد يسلك بينهما السمين الجسيم ويتخلف النحيف

اللوحة التاسعة



منظر جزء من الايوان الغربي مبينا به عمود اكشف الخطايا

(رسم على افندي يوسف)



بحسب قلة الذنوب وكثرتها . ولذا قد أسميتهما عمودى كشف الخطايا

ولما رأت وزارة الاوقاف ان أحد هذين العمودين اختل و (انفلق من الناس) أحاطتهما بسياج متين من حديد فبطل استعمالهما والحمد لله .

٣٦ — قبر عبد الله بن عمرو

لما مات سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه فى منتصف جمادى الآخرة من سنة ٦٤ او ٦٥ او ٦٨ او ٧٧ وعمره ٧٢ سنة لم يستطع أحد ان يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان . فدفن فى داره الصغرى التى كان ساكنا بها وقد دخلت فى الجامع كما توضح فى ص ٢١ من هذه المحاضرة .

نقل ابن عبد الحكم فى تاريخه ان عبد الله بن عمرو مات بمصر ودفن فى داره بدار البركة اه . ووافقه ابن الاثير وابن دقماق وقال الاخير ان داره كانت ملاصقة لدار أبيه وهى خطته . وقد كان قرة بن شريك أخذ منها قطعة فأدخلها

فى الجامع . وجعل منها الطريق بينها وبين المسجد .

وقيل مات بالحجاز بمكة أو بالسبع بفلسطين أو بالطائف وبه جزم العلامة الحافظ ابن حجر وقال هو الصحيح .

وكان بين عبدالله ووالده عمرو ١٢ سنة وكان أحمر عظيم البطن طوالا وعمى فى آخر عمره وكان يقرأ بالسريانية اهـ [١]

ولم يتعرض المرحوم على باشا مبارك لنقل شيء مما دونه المؤرخون بل قال ان قبره عليه تابوت داخل مقصورة عليها قبة وتزوره الناس اهـ [٢] . (أنظر اللوحة رقم ١٠)

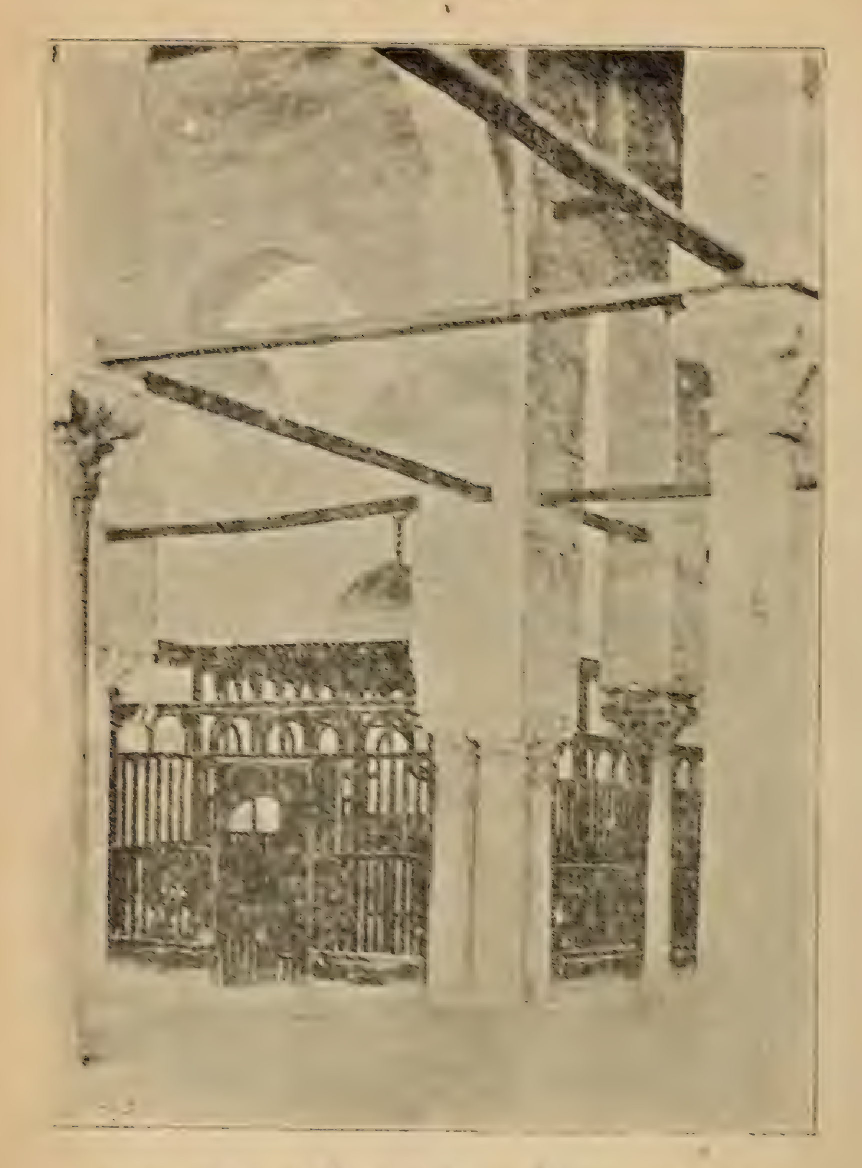
والقبة من بناء مراد بك ولم يرد فى كتب التاريخ ذكر لهذا القبر البتة . وكان فى محل القبة فى القرن الثامن مئذنة كما يتضح من الرسم رقم ٢ ص ٤٢

---

(١) المقريزى ٣٣٨ ج ٢ ومصباح الديجى والمعارف والنجوم الزاهرة ودر السحابة والسخاوى وابن الاثير وابن دقماق

(٢) الخطط التوفيقية ص ٩ ج ٣

اللوحة العاشرة



منظر قبر عبد الله بن عمرو بن العاص بجامع عمرو

(رسم علي افندي يوسف)

فى الجامع . وجعل منها الطريق بينها و بين المسجد .

وقيل مات بالحجاز بمكة أو بالسبع بفلسطين أو بالطائف

و به جزم العلامة الحافظ ابن حجر وقال هو الصحيح .

وكان بين عبدالله ووالده عمرو ١٢ سنة وكان أحمر عظيم

البطن طوالا وعمى فى آخر عمره وكان يقرأ بالسريانية اه [١]

ولم يتعرض المرحوم على باشا مبارك لنقل شيء مما دونه

المؤرخون بل قال ان قبره عليه تابوت داخل مقصورة عليها

قبة وتزوره الناس اه [٢] . (أنظر اللوحة رقم ١٠)

والقبة من بناء مراد بك ولم يرد فى كتب التاريخ ذكر

لهذا القبر البتة . وكان فى محل القبة فى القرن الثامن مئذنة

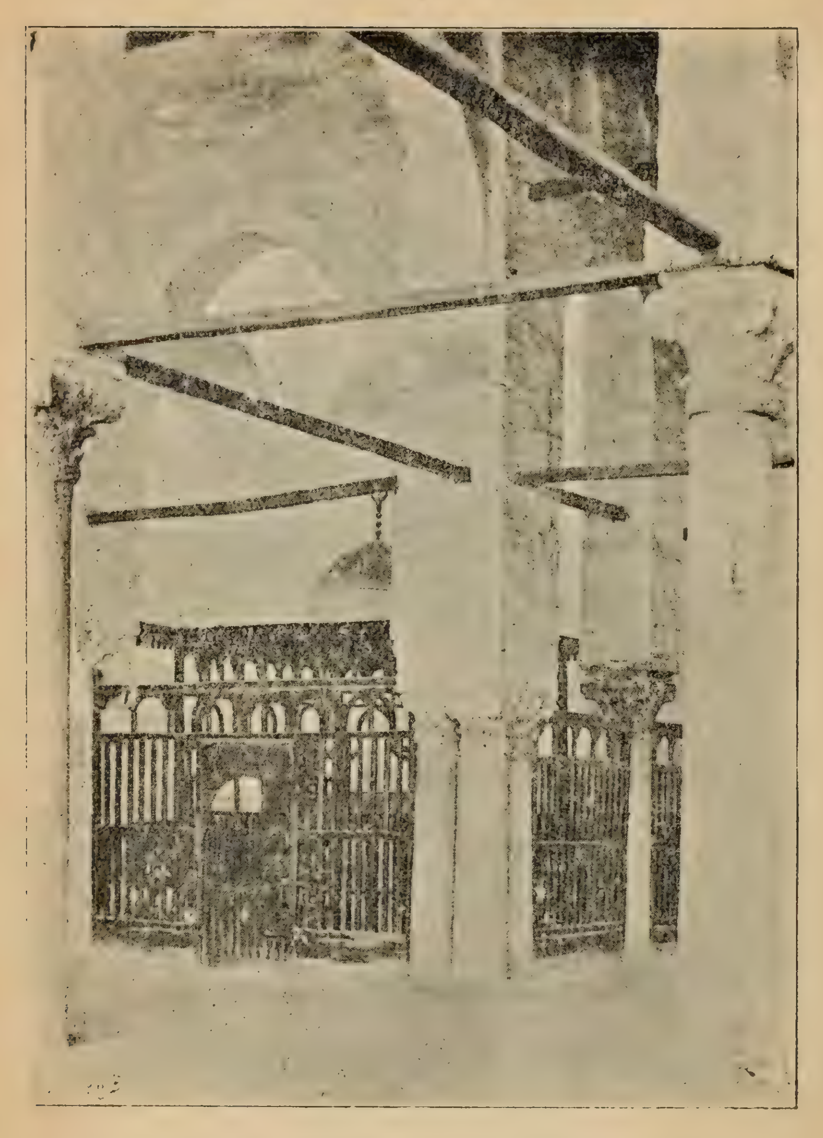
كما يتضح من الرسم رقم ٢ ص ٤٢

---

(١) المقريزى ٣٣٨ ج ٢ ومصباح الدياجي والمعارف والنجوم الزاهرة ودر السحابة والسخاوى وابن الاثير وابن دقاق

(٢) الخطط التوفيقية ص ٩ ج ٣

اللوحة العاشرة



منظر قبر عبد الله بن عمرو بن العاص بجامع عمرو
(رسم على افندى يوسف)



٣٧ — المحاريب [1]

(ا) تمهيد

المحراب صدر المكان وأكرم موضع فيه ، ومنه سمى محراب المسجد لانفراد الامام فيه وبعده من الناس . وقيل لأن الامام اذا قام فيه لم يأمن أن يلحن أو يخطىء فهو خائف مكانا كأنه مأوى الأسد وهو مرادف لعرين . وقيل لأن المصلى يحارب الشيطان ، ويحارب نفسه باحضار قلبه .

أما القبلة فهى ناحية الصلاة أى التى يصلى نحوها وهى وجهة المسجد .

اذا تبين ذلك كان ماقلناه فى صفحة ١٥ وهو : « وقف

---

(١) ومن معانى المحراب « الغرفة أو القصر » قال الله تعالى « وهل أتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب » وقوله « كلما دخل عليها زكريا المحراب » وقوله « فخرج على قومه من المحراب »

وفي الحديث الشريف : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث عروة ابن مسعود الى قومه بالطائف فأتاهم ودخل محرابا له فأشرف عليهم عند الفجر ثم أذّن للصلاة — مما يدل على أنه غرفة يرتقى اليها

على اقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا ... الخ » يفيد أن القبلة فى عصر عمرو هى الجنب الشرقي القبلى للمسجد . وكانت العلامة الدالة عليها عمدا قائمة بصدر الجدار [1]

(ب) المحراب المجوف

أول من أحدث المحراب المجوّف بالاسلام عمر بن عبد العزيز عند ما بنى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان قد تولى الخلافة سنة ٩٨ أو ٩٩ ومات سنة ١٠١ رحمه الله

أما بمصر فقال ابن لهيعة : سمعت أشياخنا يقولون لم يكن لمسجد عمرو محراب مجوف ولا أدرى بناه مسلمة (تولى على مصر سنة ٤٧ وتوفى سنة ٦٢) أو عبد العزيز (تولى سنة ٦٥ ومات سنة ٨٦) .

وقيل : أول من أحدث المحراب المجوف بهذا الجامع قرة بن شريك فى سنة ٩٣ بأمر الوليد بن عبد الملك وهو يومئذ أمير مصر من قبله . ومحرابه هو المعروف بعمرو لأنه فى سمت المحراب القديم الذى بناه عمرو وهو على وجه

(١) صبح الأعشى ١ : ٣٤١ ج ٣ ولسان العرب

التقريب المحراب الصغير الموجود بالجنب الشرقي للمسجد .
وكانت قبلة المسجد القديم عند العمد المذهبة وهي أربعة اثنان
في مقابلة اثنين وكان قرة أذهب رؤسها وكانت مجالس قيس
وكانت قديما حلقة أهل المدينة . ثم زوق أكثر العمد وطوق
في أيام الاخشيد سنة ٣٢٤ ولم يكن للجامع أيام قرة غير
هذا المحراب على ماذكره الكندي . فأما المحراب الأوسط
فيعرف بمحراب عمر بن مروان عم الخلفاء ولعله أحدثه في
الجدار بعد قرة .

وقال بعضهم : أن قرة عمل المحرابين . وفي أيام الخليفة
المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٣٨ أمر بعمل منطقة فضة في
صدر المحراب الكبير أثبت عليها اسمه — وجعل لعمودى
المحراب أطواق فضة وكان المباشر للعمارة عبد الله بن محمد
ابن عبدون .

قال المقريزى : ولم تزل هذه المنطقة الى أن قلعها السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب في ١١ ربيع الأول سنة
٥٦٧ . اهـ [1]

---

(١) ابن دقماق والمقريزى

وفى صبح الاعشى : أن قرة عمل به المحراب المجوف اتباعاً لعمر بن عبد العزيز فى محراب مسجد الرسول وأحدث فيه المقصورة تبعاً لمعاوية حيث فعل ذلك بالشام . اهـ

وقد كان بالمسجد الجامع بالفسطاط فى القرن الثامن ثلاثة محاريب على صف واحد الكبير المجاور الى المنبر والوسطانى ومحراب الخمس . (١)

أما الآن فلم يكن به غير المحراب الكبير والمحراب الذى على يساره المنسوب لعمرو والمحراب المنسوب للسيدة فاطمة .

(ج) اتجاه المحاريب بمصر

محاريب ديار مصر التى يستقبلها المسلمون فى صلواتهم أربعة محاريب .

(١) محراب الصحابة رضوان الله عليهم الذى أسسوه فى البلاد التى استوطنوها والبلاد التى كثر ممرهم بها من اقليم مصر وهو محراب جامع عمرو بالفسطاط ومحراب المسجد الجامع بالجيزة وبمدينة بلبيس وبالاسكندرية وقوص واسوان وهذه

(١) ابن دقماق ص ٦٠ ج ٤

المحاريب المذكورة على سمت واحد غير أن محاريب ثغر اسوان أشد انحرافا الى الشرق من غيرها . ومحاريب بلبيس مغربة قليلا

(٢) محراب جامع أحمد بن طولون وهو منحرف عن سمت محراب الصحابة . وقد ذكر في سبب انحرافه أقوال (راجع ما كتب عنه في المحاضرة الرابعة عن جامع ابن طولون)

(٣) محراب الجامع الأزهر وما في سمته من بقية محاريب القاهرة وهي محاريب مضبوطة لانها على خط سمت القبلة من غير ميل عنه ولا انحراف البتة

(٤) محاريب المساجد التي في قرى بلاد الساحل فانها تخالف محاريب الصحابة الا أن محراب جامع منية غمر قريب من سمت محاريب الصحابة فان الوزير محمداً المنعوت بالمأمون البطائحي انشأ جامعا بمنية زفتى في سنة ٥١٦ فجعل محرابه على سمت المحاريب الصحيحة

وفي القرافة الكبرى لمصر عدة مساجد محاريبها منحرفة عن محاريب الصحابة انحرافا عظيما . وكذلك بالفسطاط غير مسجد على هذا الحكم يفضي الى ابطال الصلاة . اه ملخصا عن المقريزي

(د) أسباب اختلاف محاريب مصر

ومن أسباب اختلاف اتجاه محاريب مصر ما يأتى

(١) اختلف كثير من الناس فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم «ما بين المشرق والمغرب قبلة» فمنهم من حمله على عموم البلدان ومنهم من خصه بالمدينة المنورة وبلاد الشام وما على سمت تلك البلاد شمالا وجنوبا فقط . وقد أثبت المقريزى فى كلامه أنه لا يمكن بأى حال من الأحوال حمل هذا الحديث على العموم لأن فى ذلك ابطال للتوجه الى الكعبة فى بعض الاقطار والله سبحانه وتعالى افترض على الكافة التوجه اليها في الصلاة حيثما كانوا بقوله تعالى « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره »

وكان هذا الاختلاف سببا فى انحراف المحاريب فى بعض الجهات

(٢) لما افتتح المسلمون الديار المصرية كانت خاصة بالقبط والروم مشحونة بهم . ونزل الصحابة رضوان الله عليهم من أرض مصر فى موضع الفسطاط وبالاسكندرية وتركوا سائر

قرى مصر بأيدى القبط ولم يسكن أحد من المسلمين بالقرى
وانما كانت رابطة تخرج الى الصعيد حتى اذا جاء أوان الربيع
انتشر الاتباع فى القرى لرعى الدواب ومعهم طوائف من
السادات — وكان اذا جاء وقت الربيع كتب عمرو بن العاص
لكل قوم بربيعهم ولبنهم الى حيث أحبوا . وكانت القرى التى
يأخذ فيها معظمهم : منوف وسمنود واهناس وطحا ووسيم
وبا وبوصير وقرى عك وسنديس واتريب ومنف وطرانيه
وعين شمس ومنى ونمى وبسطه وقربيط والقيس والبهنسا
وسفط من بوصير وسخا واليدقون وخرنبا واكناف صان
وابليل . وكان بعض هذه الأقوام ربما جاور بعضا فى الربيع
ولا يوقف فى معرفة ذلك على أحد الا ان معظمهم كانوا
يأخذون حيث وصفنا . وكان يكتب لهم بالربيع فيربعون
ما أقاموا وباللبن .

ومن ذلك كله يفهم ان الصحابة وتابعيهم عند فتح مصر
كانوا قليلى السكنى بالريف الذى كانت قراه كلها مملوءة
بالقبط والروم . واستمر الحال على ذلك تقريبا الى ما بعد المائة
الأولى من سنى الهجرة . ثم ازداد انتشار المسلمين بقرى مصر

ونواحيها وجعل القبط ينقضون العهود ويحاربون المسلمين الى ما بعد المائتين حروبا كثيرة انتهت بغلبة المسلمين على أماكنهم فحولوا كثيرا من كنائسهم مساجد . وكنائس النصارى مؤسسة على استقبال المشرق واستدبار المغرب فجعل المسلمون أبوابها محاريب فجاءت موازية لخط نصف النهار وصارت منحرفة عن محاريب الصحابة انحرافا كثيراً يحكم بخطئها وبعدها عن الصواب .

(٣) تساهل كثير من الناس في معرفة أدلة القبلة حتى انك لتجد كثيراً من الفقهاء لا يعرفون القمر صورة وحسابا مع انها مما يستدل بها على القبلة والطرقات .

(٤) الاعتذار بنجم سهيل فان كثيرا ما يقع الاعتذار عن مخالفة محاريب المتأخرين بأنها بنيت على مقابلة سهيل ومن هنا يقع الخطأ فان هذا أمر يحتاج فيه الى تحرير وهو أن دائرة سهيل مطلعها جنوب مشرق الشتاء قليلا وتوسطها في أواسط الجنوب وغروبها يميل عن أواسط الجنوب قليلا فلعل من تقدم من السلف أمر ببناء المساجد في القرى على مقابلة مطالع سهيل .

ومطلعه فى سمت قبلة مصر تقريبا فجهل من قام بأمر البنيان فرق ما بين مطالع سهيل وتوسطه وغروبه وتساهل فوضع المحراب على مقابلة توسط سهيل وهو أوسط الجنوب فجاء المحراب حينئذ منحرفا عن السمت الصحيح انحرافا لا يسوغ التوجه اليه البتة ٠ اه ملتقطا من المقريزى

٣٨ — المنبر [١]

(١) أصل المنابر فى الاسلام

كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع [٢] نخلة بالمسجد بالمدينة ٠

(١) سمى المنبر منبرا لارتفاعه وعلوه ٠ ويقال انتبر الامير أى ارتفع فوق المنبر وكل مرتفع منتبر ٠ وكل مارفعته فقد نبرته ٠ وعلى ذلك فلا يسمى المنبر الذى صنع للنبى منبرا الا تساهلا لانه قايل الارتفاع (٢) كان هذا الجذع عمودا من عمدان المسجد اذ كانت عمدانه خشب نخل كسقفه ٠ فلما صنع له المنبر وضعه موضع الجذع ثم جاء يوم الجمعة فوقف على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه كل من فى المسجد حتى ارتج المسجد من صياحه وحتى تصدع الجذع

ثم أراد أن يصنع له أعواد يجلس عليها اذا كلم الناس فأرسل الى امرأة من الانصار وقال لها : مرى غلامك النجار وكان اسمه تميم الدارى أن يعمل لى أعوادا أجلس عليهن اذا كلمت الناس فأمرته فعملها من طرفاء الغابة وقيل من الاثل ثم جاء بها ، وكان قد رأى منابر الكنائس بالشام فأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بها فوضعت فى المسجد .

قال سهل بن سعد الساعدى : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عليها وكبَّر وهو عليها ثم ركع وهو عليها ثم نزل القهقرى فسجد فى أصل المنبر ثم عاد فلما فرغ أقبل على الناس . فقال أيها الناس : انما صنعت هذا لتأتموا بى

....

وانشق . فنزل صلى الله عليه وسلم وضمه اليه حتى سكن وقال : والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيامة .

وخيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وبين ان يغرسه فى الجنة يأكل أهلها من ثمره فقال : أختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن . وقد احترق فى حريق المسجد الذى وقع فى القرن السابع . اه الجمل على الهمزية

ولتعلموا صلاتى . كان ارتفاع هـذا المنبر ذراعـين وثلاث أصابع وعرضه ذراعاراجحا . وارتفاع صدره وهو الذى يستند اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذراع . وارتفاع رمانتيه اللتين كان يمسكهما بيـديه الـكريمتين اذا جلس شبر وأصبعان . وفيـه خمسة أعواد من جوانبه الثـلاثة . وكان له ثـلاث درجات فـكان رسول الله يقعد على علياهن ويضع رجليـه الـكريمتين فى وسطاهن . فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه قعد على وسطاهن وجعل رجليه على أولاهن . فلما ولى عمر رضى الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجليه على الأرض وفعل ذلك عثمان رضى الله عنه صدرا من خلافته ثم ترقى الى الثالثة . فاستحسن ذلك بعض الحاضرين وقال ما معناه : رحم الله أمـير المؤمنين لو لم يفعل ذلك لأتى على المسلمين زمن يخطب فيهم الأمير فى بئر .

بقى هذا المنبر الى أيام معاوية [١] فأراد نقله الى الشام

(١) وأول من أوجد منبرا بمكة معاوية بن أبى سفيان حين قدم من الشام صنعه على ثلاث درج كمنبر النبى عليه السلام الذى فى المدينة وقد كان النبى والخلفاء الاربعة وولاتهم يخطبون يوم الجمعة على

فضج المسلمون وعصفت ريح شديدة وكسفت الشمس وبدت النجوم نهاراً وأظلمت الأرض فكان الرجل يصادم الرجل ولا يتبين مسلكه . فلما رأى ذلك معاوية كتب الى مروان عامله على المدينة أن ارفعه عن الارض . فزاد من أسفله ست درجات [1] ورفعه عليها فصار له تسع درجات بالمجلس . قيل وصار طوله أربعة أذرع وشبرا .

ولما حج المهدى ابن المنصور العباسي سنة ١٦١ أراد أن يعيده الى ما كان عليه فأشار عليه الامام مالك بتركه خشية التهافت . فتركه .

ويقال أن المنبر الذى صنعه معاوية ورفع منبر النبي صلى الله عليه وسلم تهافت على طول الزمان وجدده بعض خلفاء بنى العباس واتخذ من بقايا أعواد منبر النبي عليه السلام أمشاطا للتبرك . ثم احترق هذا المنبر لما احترق المسجد فى شهر رمضان سنة ٦٥٤ أيام المستعصم بالله وشغل المستعصم عن عمارته بقتال التتار فعمل المظفر صاحب اليمن منبراً وبعث

أرجاهم قياما فى وجه الكعبة وفي الحجر الشريف .

(١) وفى أحسن التقاسيم « خمس درجات » وهو خطأ

به الى المدينة سنة ٦٥٦ فنصب فى موضع منبر النبى فبقى الى سنة ٦٦٦ فأرسل الظاهر بيبرس البندقدارى منبرا فازيل ذالك ووضع محله وطوله أربعة أذرع . ومن رأسه الى عتبته سبعة أذرع تزيد قليلا . ودرجاته سبع بالمقعد . اه[1]

(ب) المنابر فى قرى مصر

لم يكن يخطب فى القرى إلا على العصى بجانب القبلة الى أن ولى عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمى مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتخاذ المنابر فى القرى سنة ١٣٢

استمرت المنابر فى القرى والامصار بحجم أكبر مما كانت عليه زمن النبى صلى الله عليه وسلم حتى أمر المهدى محمد ابن أبى جعفر المنصور بتقصيرها وجعلها بقدر منبر النبى عليه السلام وذلك فى سنة ١٦١ . ثم رجعت بعد ذلك الى الكبر .

وقد تكلمنا على أقدم المنابر الخشبية والرخامية فى المحاضرة الرابعة التى خصت عن جامع أحمد بن طولون والحكمة فى عمل البابين المسميين ببابى الروضة هى لعدم تقطيع

---

(١) البخارى ـ رحلة ابن بطوطه ـ صبح الاعشى وغيره

الصف الأول وليتصل ببعضه . وقد كانت المنابر في القديم يعمل أسفل سلمها قنطرة يصلى فيها الناس حتى لا ينقطع الصف .

قال البشارى فى كتابه أحسن التقاسيم أثناء التكلم على بلدة زبيد قصبة تهامة « ان الجامع ناء عن الاسواق نظيف مبربق الارض تحت المنبر تقوير ليتصل الصف »

(ج) منبر جامع عمرو

لما بنى عمرو بن العاص جامعه فى الفسطاط اتخذ له منبرا من خشب فكتب اليه عمر بن الخطاب يقول : أما بعد . فانه بلغنى أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين . أما حسبك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك ؛ فعزمت عليك الا ما كسرته . فكسره

بعد ذلك وجد منبر خشب فى الجامع — قيل ان عمرا جعله فيه بعد وفاة عمر — ويؤيد ذلك ما سيجئ فى احدى خطب عمرو — وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان الذى تولى على مصر سنة ٦٥ ومات سنة ٨٦ وذكر انه حمل اليه من بعض كنائس مصر . وقيل ان زكريا بن مرقنى — وقيل برقنى —

ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح الذى تولى على مصر سنة ٢٤ وبعث معه نجاره حتى ركبه واسم النجار بقطر من أهل دندرة .

ولم يزل هذا المنبر فى المسجد حتى زاد فيه قرة بن شريك فعمل منبراً سواه فى سنة ٩٤ واستمر هذا المنبر حتى قلع وكسر فى أيام العزيز بالله سنة ٣٧٩ وجعل مكانه منبر مذهب .

ثم أخرج هذا المنبر الى اسكندرية وجعل بجامع عمرو بها واستعيض عنه بالمنبر الكبير فى سنة ٤٠٥ أيام الحاكم بأمر الله . وفى هذه السنة وجد المنبر الجديد الذى نصب فى الجامع قد لطخ بالعذرة فوكل به من يحفظه وعمل له غشاء من أدم مذهب [١] .

أما المنبر الحالى فحديث الصناعة

(د) ماقيل فى كبر المنبر

قال ابن الحاج فى كتابه « المدخل » ماملخصه : ومن هذا الباب أيضاً أعنى فى امساك مواضع فى المسجد وتقطيع الصفوف بها اتخاذ هذا المنبر العالى فانه أخذ من المسجد جزأ

(١) مقريزى ص ٢٤٧ ج ٢ وابن دقماق ٦٣ ج ٤

جيدا وهو وقف على صلاة المسلمين . كفى به انه لم يكن من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء من بعده . واذا يكون من جملة ما أحدث فى المساجد وفيه تقطيع الصفوف

وقد قال الامام أبو طالب المكي فى كتابه : كان عندهم ان تقدمة الصفوف الى فناء المنبر بدعة . وكان الثورى يقول : ان الصف الاول هو الخارج بين يدى المنبر .

قال ابن الحاج : وأما بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف لكن بقيت عندهم بدعتان احداهما كبر المنبر على ماهو بمصر . والثانية انهم يدخلون المنبر فى بيت اذا فرغ الخطيب من الخطبة وهذه بدعة الحجاج [1] .

ومنبر السنه كان ثلاث درجات وهى لا تشغل مواضع المصلين . فان قال قائل : بل تشغل ولو موضعاً واحدا . قلنا ان هذا مستثنى بفعل النبي عليه الصلاة والسلام . فان قيل قد كثر الناس واتسع الجامع فاذا صعد الخطيب على المنبر الثلاث درجات قل ان يسمع الخطبة الجميع أو أكثرهم فى الغالب

(١) أول من أخرج المنبر فى العيد مروان بن الحكم ولم يكن قبل ذلك يخرج ص ٤٢١ ج ١ صبح الاعشى

قلنا أن من كان على منبر عال هو الذى لا يسمعهم (١) لكونه بعيداً عنهم فكأنه فى سطح وحده فلا يسمع من تحته وهذا مشاهد .

٣٩ — امامة جامع عمرو

لما انشىء الجامع كان يلى امامته فى الصلوات الخمس والخطابة فيه يوم الجمعة والصلاة بالناس أمير البلد فتارة يجمع

(١) من الحقائق الثابتة فى علم الصوت أنه كلما بعد الانسان عن مصدر صوت كلما قلت شدة ذلك الصوت وقل سماعه . على أن هذه الشدة تتوقف على عوامل أخرى كالرياح والرنين والصدى الخ . ولكننا نترك الكلام على هذه العوامل ونعتبر فقط بعد السامع عن مصدر الصوت فاذا اعتبرنا مصليا فى نقطة من فناء الجامع تبعد عن خطيب مرتقياً منبراً ذا ثلاث درجات بقدر عشرين متراً فان هذه المسافة تكبر كلما علا الخطيب . وعلى ذلك تقل شدة صوته فى تلك النقطة من الجامع فيقل سماع المصلى لكلمات الخطيب .

ومع ذلك فلا بأس من أن يرتقى الخطيب منبراً قصيراً درجاته أكثر من ثلاث لمنزلته بالنسبة للمصلين وليروه جميعاً فتتبين لهم حركاته وسكناته بوضوح أثناء الخطبة . فالارتفاع القليل لا يؤثر كثيرا فى شدة الصوت

للأمير بين الصلاة والخراج وتارة يفرد الخراج عن الأمير فيكون الامير اليه أمر الصلاة بالناس والحرب ولآخر أمر الخراج وهو دون مرتبة أمير الصلاة والحرب

وكان الأمير يستخلف عنه فى الصلاة صاحب الشرطة اذا شغله أمر . وقد صادف عمرا بن العاص مرض فى ليلة الجمعة التى توافق ١٧ رمضان من سنة ٤٠ فأناب عنه صاحب شرطته خارجة بن حذافة ليصلى بالناس صلاة صبح يوم الجمعة المذكورة . فتوجه خارجة الى الصلاة فقتله أحد الخوارج الثلاثة الذين اتفقوا على قتل كل من على بن أبى طالب ومعاوية ابن أبى سفيان وعمرو بن العاص فى هذه الليلة . وكان اسمه دادويه وقيل زادويه وهو رجل من بنى العنبر ابن عمرو بن تميم ، وقيل مولى لبنى العنبر ، وقيل اسمه عمرو بن بكر .

ولما قتله قبض عليه وادخل على عمرو ورأى الناس يسلمون عليه بالامارة فقال : من هذا الذى أدخلتمونى عليه ؛ فقالوا : الأمير عمرو بن العاص . فقال : فمن قتلت ؛ قالوا نائبه خارجة [1] فقال الرجل لعمرو : أما والله ما أردت غيرك

(١) لما بلغ معاوية قتل خرجة وسلامة عمرو كتب اليه

فقال عمرو : أردتني وأراد الله خارجة . ثم قتله عمرو . وكان يقول : مانفعني بطني قط إلا تلك الليلة . والى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون في قصيدته التي رثى بها بني الأفطس وأولها * الدهر يفجع بعد العين بالأثر * بقوله :

وليتها إذ فدت عمرا بخارجة ... فدت عليا بمن شاءت من البشر

ولم يزل الأمر على ذلك يصلى الأمير بالناس الى ان ولى عنبسة بن اسحاق من قبل المستنصر ابن المتوكل على الصلاة والخراج في سنة ٢٣٨ فأقام الى سنة ٢٤٢ وصرف . فكان آخر أمير من العرب صلى بالناس في المسجد الجامع . بعد ذلك صار يصلى بالناس رجل يرزق من بيت المال(١) .

هذه الابيات

وقتك وأسباب الامور كثيرة ... منية شيخ من لؤى بن غالب

فياعمرو مهلا انما أنت عمه ... وصاحبه دون الرجال الاقارب

نجوت وقد بل المرادى سيفه ... من ابن أبي شيخ الاباطح طالب

ويضربني بالسيف آخر مثله ... وكانت عليه تلك ضربة لازب

وأنت تناغى كل يوم وليلة ... بمصرك بيضا كالظباء السوارب

(١) ابن خلكان والمقريزى والمستطرف وغيرها .

٤٠ — احدى خطب عمرو بن العاص

كان الناس يجتمعون بالفسطاط اذا قفلوا من غزوهم . فاذا حضر مرافق الريف خطب عمرو بن العاص فقال : قد حضر مرافق الريف ربيعكم فانصرفوا . فاذا حمض اللبن واشتد العود وكثر الذباب فحيّ على فسطاطكم ولا أعلمن ما جاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل جواده .

وعن ابن لهيعة عن الاسود بن مالك عن بحير بن ذاخر قال : رحت أنا ووالدى الى صلاة الجمعة تهجيرا فأطلنا الركوع اذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس . فذعرت . فقلت يا أبتى من هؤلاء ؟ فقال يا بنى : هؤلاء الشرط . فأقام المؤذنون الصلاة . فقام عمرو بن العاص على المنبر . فرأيت رجلا ربعة قصير القامة وافر الهامة أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأن به العقبان تأتلق ، عليه حلة وعمامة وجبة . فحمد الله وأثنى عليه حمدا موجزا وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم .

فسمعته يحض على الزكاة وصلة الأرحام ويأمر بالاقتصاد

وينهى عن الفضول وكثرة العيال واخفاض الحال فى ذلك .
فقال : يامعشر الناس . اياكم وخلالا أربعا فانها تدعو الى
النصب بعد الراحة ، والى الضيق بعدالسعة ، والى الذلة بعد
العزة . إياكم وكثرةالعيال ، واخفاض الحال ، وتضييع المال ،
والقيل بعد القال فى غير درك ولا نوال . ثم انه لا بد من
فراغ يؤول اليه المرء فى توديع جسمه ، والتدبير لشأنه ،
وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار الى ذلك فليأخذ
بالقصد والنصيب الاقل ، ولا يضيع المرء فى فراغه نصيب
العلم من نفسه فيجوز من الخير عاطلا ، وعن حلال الله
وحرامه غافلا .

يامعشر الناس . انه قد تدلت الجوزاء ، وذلت الشعرى
وأقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقل الندى ، وطاب المرعى
ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل ، وعلى الراعى بحسن
رعيته حسن النظر . فحى لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم
فنالوا من خيره ولبنه وفراخه وصيده ، واربعوا خيلكم
واسمنوها ، وصونوها واكرموها ، فانها جنتكم من عدوكم
وبها مغانمكم وأنفالكم ، واستوصوا بمن جاورتموه من القبط

خيرا. وإياكم والمومسات المعسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم.

حدثني عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة. فكفوا أيديكم، وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم [1]. ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه. واعلموا انى معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك. واعلموا انكم فى رباط الى يوم القيامة

---

(١) يشير الى قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون)

لكثرة الاعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وحدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض . فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ولم يارسول الله ؟ قال لأنهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة . فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم فتمتعوا فى ريفكم ما طاب لكم فاذا يبس العود وسخن الماء وكثر الذباب وحمض اللبن وصوّح البقل وانقطع الورد من الشجر فحىّ الى فسطاطكم على بركة الله ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته أقول قولى هذا واستحفظ الله عليكم اهـ (١) .

٤١ — صلاة العيد بجامع عمرو

أول عيد صلى بجامع عمرو هو عيد الفطر فى سنة ٣٠٨ ولم يكن يصلى فيه قبل ذلك بل كان الأمير يصلى بالناس

(١) مقريزى ص ٢٦٠ ج ٢

فى المصلى القديم حيث الكوم المطل على قبر القاضى بكار (بقرب عين الصيرة) لضيق المسجد الجامع بأهله

ومما حفظ على خطيب الجامع وهو على بن أحمد بن عبد الملك فى هذه الصلاة انه قال : « اتقوا الله حق تُقاته ولا تموتُنَّ الا وأنتم مشركون » .

فقال بعض الشعراء :

وقام فى العيد لنا خاطب ... فحرَّض الناس على الكفر

ويقال انه خطب من دفتر نظرا . اه [(١)]

٤٢ — ما كان يختتم به الخطبة فى العصر الأول

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى نهاية الخطبة سورة « ق » . وكان عمر بن الخطاب يقرأ « اذا الشمس كورت ـ الى قوله تعالى ـ ما أحضرت » . وكان عثمان يقرأ آخر سورة النساء « يستفتونك فى الكلالة » وكان على بن أبى طالب يقرأ « الكافرون » و« الاخلاص » رضوان الله عليهم أجمعين .

(١) مقريزى ص ٢٥٥ ج ٢

وأول من قرأ فى نهاية الخطبة « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية ـ عمر بن عبدالعزيز [١] رضى الله عنه بدلا عن السب الذى كانت بنو أمية تذكر به عليا على المنابر . وقد لزمها الخطباء الى يومنا هذا . وأول من قرأ فى الخطبة « ان الله وملائكته يصلون على النبى » الآية ـ المهدى ثالث الخلفاء العباسيين [٢] .

---

(١) حدث عمر المذكور قال : كان أبى يمر فى خطبته يهزها هزا حتى اذا وصل الى ذكر أمير المؤمنين على عليه السلام تتعتع . قال : فقلت له ذلك . فقال : يا بنى أدركت هذا منى ؟ قلت : نعم . قال : يا بنى اعلم ان العوام لو عرفوا من على بن أبى طالب ما نعرفه نحن لتفرقوا عنا الى ولده .

فلما ولى عمر الخلافة قطع السب وجعل مكانه قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) الخ

وقد أشار الى ذلك الشريف الرضى الموسوى فى رثائه له بقوله :

يا بن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك
أنت أنقذتنا من السب والشتم فلو أمكن الجزاء جزيتك
غير انى أقول انك قد طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك
دير سمعان لاعدتك العوادى خير ميت من آل مروان ميتك

(٢) الفخرى وكتب أخرى .

٤٣ — كيف نشأ تعدد المساجد الجامعة بمصر

لما افتتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه البلدان كتب الى عماله بالبصرة والكوفة والشام ومصر ان يتخذوا للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة . وكان عامل مصر يومئذ عمرو بن العاص فبنى جامعه فى سنة ٢١ من الهجرة أى عقب فتح مصر واقيمت فيه الجمعة ولم تكن تقام فى زمنه بشىء من أرض مصر الا فى هذا الجامع — جاء نفر الى عمرو بن العاص فقالوا : انا نكون فى الريف أفنجمع فى العيدين ويؤمنا رجل منا ؟ قال : نعم . قالوا : فالجمعة ؟ قال : لا — ولا يصلى الجمعة بالناس الا من أقام الحدود وآخذ بالذنوب وأعطى الحقوق .

استمرت الجمعة تقام فى جامع عمرو الى ان قدم عبدالله ابن على بن عباس رضى الله عنهم من العراق فى طلب مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية فنزل بعسكره فى شمالى الفسطاط (جهة شوارع زين العابدين والمذبح) وبنيت هناك الابنية فسمى ذلك الموضع بالعسكر . وأقيمت هناك الجمعة فى مسجد

بناه الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى ولايته امارة مصر سنة ١٦٩ أى بعد نزول العسكر بـ ٣٦ سنة ٠

صارت الجمعة تقام فى هذين المسجدين حتى بنى الامير أحمد بن طولون مسجده فى سنة ٢٦٥ بسبب ضيق المسجد العتيق من كثرة غلمانه وعسكره ٠ فبطلت الجمعة من مسجد العسكر، وصارت تقام فى جامعى عمرو وابن طولون الى أن قدم جوهر القائد وبنى القاهرة فى سنة ٣٥٨ فبنى الجامع الازهر فى سنة ٣٥٩ ٠

وفى سنة ٣٦٦ بنت الست تغريد أم العزيز بالله نزار ابن المعز لدين الله جامع القرافة (بقرب قرية البساتين)

ثم بنى العزيز بالله جامعه بباب الفتوح فى سنة ٣٨٠ وجمع فيه فى سنة ٣٨١ وأتمه الحاكم بأمر الله وصلى فيه الجمعة فى رمضان سنة ٤٠٣ ٠ وبنى الحاكم أيضاً جامع المقس (أولاد عنان) وجامع راشدة [1] (بين مصر القديمة وأثر النبى) سنة ٣٩٣

فكانت الجمعة تقام فى هذه الجوامع كلها الى ان انقرضت دولة الفاطميين سنة ٥٦٧ فبطلت الخطبة من الازهر

---

(١) قف على معنى راشدة فى المحاضرة الثانية التى خصت عن مدينة الفسطاط

واستمرت فيما عداه . وبقى الازهر معطلا نحو ١٠٠ عام

فلما كانت الدولة التركية حدث بالقاهرة والقرافة ومصر وما بين ذلك عدة جوامع أقيمت فيها الجمعة . ومابرح الامر يزداد حتى بلغ عدد المواضع التى تقام فيها الجمعة فى القرن التاسع الهجرى فيما بين مسجد الطراوى ودير الطين نحو ١٣٠ مسجدا [١] .

وفى أوائل سنة ١٣٣٥ الحالية صار عدد المواضع التابعة لوزارة الاوقاف العمومية وتقام فيها الجمعة فى مدينتى القاهرة والفسطاط وبولاق ٢٥٠ مسجدا .

*
* *

وقد كانت تقام الجمعة فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فى موضع واحد كما تقدم .

والاقتصار على مسجد واحد أفضى الى المقصود من اظهار شعار الاجتماع واتفاق الكلمة الا ان كثر أهله وضاق بهم فيجوز حينئذ تعددها للحاجة كما هو حاصل الآن

وأول ما تعددت الجمعة فى بلد واحد أيام المعتضد بالله

(١) مقريزى ص ٢٤٤ ج ٢

أحمد ابن الموفق سنة ٢٨٠ ولم يقع قبل ذلك في الاسلام صلاة جمعتين في بلد واحد . وسبب ذلك خشية الخليفة على نفسه في المسجد العام . صلاها في دار الخلافة من غير بناء مسجدها ثم بنى مسجد في خلافة المكتفى بالله على ابن المعتضد في دار الخلافة فجمعوا فيه قبل سنة ٢٩٣ .

وأول من صلى الجمعة في دار الامارة بالعسكر وترك صلاتها في مسجد العسكر والمسجد العتيق الامير تكين سنة ٣١٧ ولم يصل أحد قبله من الأمراء في دار الامارة الجمعة

٤٤ — صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان

كانت ادارة حكومة مصر في عصر الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الأمويين والعباسيين تتناول مصالح الخراج والجند والشرطة والقضاء والصلاة - فاما أن يعين للقيام بها أمير واحد يكون والياً عاما واما أن يقوم بادارتها رجلان وعلى كل حال فالذى كان يعهد اليه أمر الصلاة كان هو الذى يؤم الناس فيها وان شاء ندب من قبله موقتا من ينوب عنه في الامامة . كما نوهنا عنه في صفحة ٩٠ من هذه المحاضرة .

ومن تعرض لها بدون اذنه عد خارجا وعاصيا .

واستمر الحال كذلك الى آخر ولاية الأمير عنبسة بن اسحق وهو آخر من ولى على مصر من العرب كما سبق الاشارة اليه ألا أن الحال تغير لما تولى المماليك الأتراك على مصر من قبل بنى العباس فلعدم اتقانهم اللغة العربية كانوا يخشون أمر الخطابة والأمامة فعينوا لها من الفقهاء من يقوم بأمرها نظير أجر يتناوله شهريا كما هى الحالة الآن .

ولما أنشأ ابن طولون القطايع والجامع كان يصلى فى جامعه وفى الجامع العتيق مؤتما وسرى على هذا المنوال غيره من امراء دولته حتى بعد حرق القطايع سنة ٢٩٢ الى أن تغلب الخلفاء الفاطميون على مصر وبنو الجامع الأزهر سنة ٣٥٩ فأعادوا الأمر الى ما كان عليه فكان الخليفة يؤم الناس فى الصلاة . ولمناسبة فضيلة شهر رمضان كان يصلى بالناس كل يوم جمعة منه فى أحد المساجد إذ ذاك وهى الأزهر والأنور والجامع العتيق ــ وفى هذا التنقل رأفة بالناس فلا يتحمل أهل الفسطاط مثلا مشاق الذهاب كل جمعة للصلاة بالجامع الأزهر أو الحاكمى . وكذلك يقال عمن يسكنون فى

القاهرة . وقد أورد عز الملك محمد المعروف بالمسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ فى كتابه « تاريخ مصر » ركوب الخليفة الى صلاة الجمعة ونقل عنه المقريزى فقال :

وفى يوم الجمعة غرة رمضان سنة ٣٨٠ ركب العزيز بالله الى جامع القاهرة (الازهر) بالمظلة المذهبة وبين يديه نحو خمسة آلاف ماش وبيده القضيب وعليه الطيلسان والسيف فخطب وصلى صلاة الجمعة وانصرف . فأخذ رقاع المتظلمين بيده وقرأ منها عدة فى الطريق . اهـ

وقال ابن الطوير : اذا انقضى ركوب أول شهر رمضان استراح الخليفة فى أول جمعة فاذا كانت الثانية ركب الى الجامع الأنور الكبير (الجامع الحاكمى) فى هيئة المواسم بالمظلة وما تقدم ذكره من الآلات ولباسه فيه ثياب الحرير البيض توقيرا للصلاة من الذهب والمنديل والطيلسان المقور الشعرى فيدخل من باب الخطابة والوزير معه بعد أن يتقدمه فى أوائل النهار صاحب بيت المال وبين يديه الفرش المختصة بالخليفة اذا صار اليه فى هذا اليوم وهو محمول بأيدى الفراشين المميزين فيفرش فى المحراب ثلاث طراحات اما سامان أو

ديبقى أبيض أحسن مايكون من صنفهما كل منهما منقوش
بالحمرة فتجعل الطراحات متطابقات ويعلق ستران يمنة ويسرة
وفى الستر الايمن كتابة مرقومة بالحرير الاحمر واضحة
منقوطة أولها البسملة والفاتحة وسورة الجمعة . وفى الستر
الايسر مثل ذلك وسورة اذاجاءك المنافقون قد أسبلاوفرشا
فى التعليق بجانبي المحراب لاصقين بجسمه . ثم يصعد قاضى
القضاة المنبر وفى يده مدخنة لطيفة خيزران فيها جمرات
ويجعل فيها ند مثلث لايشم مثله إلا هناك فيبخرالذروة التى
عليها الغشاء كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ويكرر ذلك ثلاث
دفعات . فيأتى الخليفة في هيئة موقرة من الطبل والبوق
وحوالى ركابه خارج أصحاب الركاب القراء وهم قراء الحضرة
من الجانبين يطربون بالقراءة نوبة بعد نوبة يستفتحون
بذلك من ركوبه من الكرسى على ماتقدم طول طريقه الى
قاعة الخطابة من الجامع ثم تحفظ المقصورة من خارجها
بترتيب أصحاب الباب واسفهسلار العساكر ومن داخلها الى
آخرها صبيان الخاص وغيرهم ممن يجرى مجراهم ومن داخلها
من باب خروجه الى المنبر واحد فواحد فيجلس في القاعة

وان احتاج الى تجديد وضوء فعل والوزير فى مكان آخر فاذا أذن بالجمعة دخل اليه قاضى القضاة فقال له « السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضى ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله » فيخرج ماشيا وحواليه الاستاذون المحنكون والوزير وراءه ومن يليهم من الخواص وبأيديهم الاسلحة من صبيان الخاص وهم امراء وعليهم هذا الاسم فيصعد المنبر الى أن يصل الى الذروة تحت تلك القبة المبخرة ·

فاذا استوى جالسا والوزير على باب المنبر ووجهه اليه فيشير اليه بالصعود فيصعد الى ان يصل اليه فيقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس ثم يزرر عليه تلك القبة لأنها كالهودج ثم ينزل مستقبلا فيقف ضابطا لباب المنبر · فان لم يكن ثم وزير صاحب سيف زرّر عليه قاضى القضاة كذلك ووقف صاحب الباب ضابطا للمنبر · فيخطب خطبة قصيرة من مسطور يحضر اليه من ديوان الانشاء يقرأ فيها آية من القرآن الكريم · ولقد سمعته مرة فى خطابته بالجامع الازهر وقد قرأ فى خطبته « ربِّ أوزعنى أن أشكرَ نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدىَّ » الآية · ثم يصلى على أبيه وجده يعنى

محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه . ويعظ الناس وعظاً بليغا قليل اللفظ . وتشتمل الخطبة على ألفاظ جزلة ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل الى نفسه فقال وأنا أسمعه : اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا . ويتوسل بدعوات فخمة تليق بمثله ويدعو للوزير ان كان وللجيوش بالنصر والتأليف وللعساكر بالظفر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر . ثم يختم بقوله : « اذكروا الله يذكركم » فيطلع اليه من زرّر عليه ويفك ذلك التزرير وينزل القهقرى .

وسبب التزرير عليهم قراءتهم من مسطور لا كعادة الخطباء . فينزل الخليفة ويصير على تلك الطراحات الثلاث فى المحراب وحده اماما . ويقف الوزير وقاضى القضاة صفا ومن ورائهما الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام والمؤذنون وقوف وظهورهم الى المقصورة لحفظه . فاذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضى . فأسمع القاضى المؤذنين . وأسمع المؤذنون الناس . هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراءه فيقرأ ما هو

مكتوب فى الستر الأيمن فى الركعة الأولى ، وفى الركعة الثانية ماهو مكتوب فى الأيسر ، وذلك على طريق التذكار خيفة الارتجاج . فاذا فرغ خرج الناس وركبوا أولا فأولا وعاد طالبا القصر والوزير وراءه وضربت البوقات والطبول فى العود .

فاذا أتت الجمعة الثالثة [1] ركب الى الجامع الازهر على المنوال الذى ذكرناه والقالب الذى وصفناه . فاذا كانت الجمعة الرابعة [2] أعلم بركوبه الى مصر للخطابة فى جامعها فيزين له من باب القصر أهل القاهرة الى جامع ابن طولون . ويزين له أهل مصر من جامع ابن طولون الى الجامع بمصر . يرتب ذلك والى مصر كل أهل معيشة فى مكان فيظهر المختار من الآلات والستور المثمنات ويهتمون بذلك ثلاثة أيام بلياليهن والوالى مار وعائد بينهم وقد ندب من يحفظ الناس ومتاعهم فيركب يوم الجمعة شاقا لذلك كله على الشارع الأعظم الى مسجد عبد الله الى دار الانماط الى الجامع بمصر فيدخل اليه من المعونة ومنها باب متصل بقاعة الخطيب

(١و٢) جاءتا خطأ فى المقريزى الثانية والثالثة ولكن سياق الكلام يثبت انهما الثالثة والرابعة

بالزى الذى تقدم ذكره .

فاذا قضيت الصلاة عاد الى القاهرة من طريقه بعينها شاقا بالزينة الى أن يصل الى القصر ويعطى أرباب المساجد التى يمر عليها كل واحد دينارا [١] .

هكذا كان الحال فى صلاة الجمعة (اليتيمة) في جامع عمرو مدة الخلفاء الفاطميين .

ولما احترقت الفسطاط سنة ٥٦٧ وتغلب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على الديار المصرية صار يصلى الجمعة فى الجامع الحاكمى لأنه أكبر جامع بالقاهرة وكان الجامع الطولونى قد تخرب وقتها وعمل مأوى للغرباء كما بيناه فى المحاضرة الرابعة وابطل الخطبة من الجامع الازهر واستمر معطلا مدة ١٠٠ عام كما سبق الاشارة اليه .

أما جامع عمرو فكان تبعا للفسطاط بين صعود وهبوط كما يتضح من كثرة تخربه وعماراته . وكان الناس يصلون فيه تبركا كما لا يخفى واستمر مدة من الزمن حتى اقتصر فيه على صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان . وقد قال الجبرتى عنها

---

(١) مقريزى ص ٢٨٠ ج ٢

فى حوادث سنة ١٢١٥ ص ١٧٠ ج ٣ ما يأتى

وكان فيما أدركنا الناس يصلون فيه آخر جمعة فى رمضان فتجتمع به الناس على سبيل التسلى من القاهرة ومصر وبولاق وبعض الأمراء أيضاً والاعيان ويجتمع بصحنه أرباب الملاهى من الحواة والقرداتية وأهل الملاعيب والنساء الراقصات المعروفات بالغوازى فبطل ذلك أيضا من نحو ٣٠ سنة لهدمه وخراب ماحوله . ولبعده عن العمار وحصوله بين الأتربة والكيمان وقت ذاك كان لا يصل اليه أحد .

وبعد أن عمره الأمير مراد بك محمد افتتحه بالصلاة فيه آخر جمعة من رمضان سنة ١٢١٢

ولما احتل الفرنساويون مصر جرى عليه ماجرى على غيره من التخريب الى عهد المغفور له العزيز محمد على باشا فأعاد صلاة الجمعة فيه تبركا وأوقف عليه وقفا يصرف منه لمن يؤدى خطابة آخر جمعة من رمضان مبلغ جنيه واحد وربعمائة خمسة وثمانين مليما ويصرف جنيه واحد لخطيب الجامع المقرر . و ٢٧٠ مليما للمؤذنين . وهذه المرتبات مدرجة فى ميزانية الحكومة وكان أصلها مرتب رزنامة ثم حول الى الأوقاف

ورد منه وحول الى المحافظة وأدرج بالميزانية كما ذكر .

أما ما يصرف من وزارة الأوقاف للخطيب فهو من باب الخيرات (صدقات العيد)

واستمر ولاة مصر الخديويون من الاسرة المحمدية العلوية يقيمون صلاة آخر جمعة من رمضان كل سنة فيه . وقد أحسنوا صنعا لأن في ذلك مع احياء شعائر العبادة فيه احياء أقدس تذكار اسلامى فى هذه البلاد .

ولمناسبة وجود عظمة مولانا السلطان حسين كامل الاول فى الاسكندرية فى شهر رمضان من السنتين الماضيتين كان حفظه الله ينيب عنه من يؤدى صلاة الجمعة في هذا الجامع الذى هو تاج الجوامع .

والعادة ان تصدر الاوامر من وزارة الحربية بأن تصطف أمام مدخل الجامع قبل الظهر أورطة من جنود الجيش المصرى ومعها موسيقاها لأداء التحية والتعظيم وتقف بطرية من المدفعية على مقربة من الجامع لاطلاق المدافع .

ولدى وصول موكب الامير الى ميدان المسجد تصدح الموسيق بالسلام السلطانى وتطلق المدافع ايذانا باقباله ويجرى

مثل ذلك عند الانصراف بعد الصلاة .

ويحضر هذه الصلاة غالبا حضرة صاحب السماحة قاضي قضاة مصر وفضيلة كل من شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية وكثير من العلماء . وحضرات أصحاب المعالي الوزراء وكبار الموظفين . وسعادة محافظ العاصمة وكثير من الكبراء والاعيان والوجهاء فيزدحم الجامع ازدحاما عظيما حتى يمتلىء جميعه بالمصلين . وقد يضيق بهم أحيانا فيصلي من يتأخر منهم عن الحضور خارج الجامع .

٤٥ — الخطبة والدعاء وزي المنبر

(في عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب)

قال ابن جبير في رحلته : ومما شاهدناه بالقاهرة أربعة جوامع حفيلة البنيان أنيقة الصنعة الى مساجد عدة . وفي أحد الجوامع الخطبة اليوم ويأخذ الخطيب فيها مأخذ سني يجمع فيها الدعاء للصحابة رضوان الله عليهم وللتابعين ومن سواهم ولأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ولعميه الكريمين حمزة والعباس رضي الله عنهما ويلطف الوعظ ويرقق

التذكير حتى تخشع القلوب القاسية وتنفجر العيون الجامدة .

ويأتى للخطبة لابساً السواد على رسم العباسية . وصفة لباسه بردة سوداء عليها طيلسان شرب اسود وهو الذى يسمى بالمغرب الاحرام وعمامة سوداء متقلداً سيفاً . وعند صعوده المنبر يضرب بنعل سيفه المنبر فى أول ارتقائه ضربة يسمع بها الحاضرين كأنها ايذان بالانصات . وفى توسطه أخرى وفى انتهاء صعوده ثالثة . ثم يسلم على الحاضرين يمينا وشمالا ويقف بين رايتين سوداوتين [1] فيهما تجزيع بياض قد ركزتا فى أعلى المنبر .

---

(١) قال على بن ظافر : واجتمعنا بالجامع فرأينا غلاما مائس العطف . ذابل الطرف . قد عانق أقحوان شعره . غصن قده . وطابق بين مبيض وجهه ومسوده . فقلت فيه :

يارب ظبى عطر الانفاس   يسكن قلبى بدل الكناس
وجنته تزهر كالنبراس   وشعره فى قده المياس
مثل لواء بنى العباس

فقال الاعز ابن المؤيد : لو شبهته بعلم الخطيب لاسيما اذا ذكرت حلوله بالجامع . ثم صنع فقال :

يارب غصن أهيف رطيب   أنبته الحسن على كثيب

ودعاؤه فى هذا التاريخ للامام العباسى أبى العباس أحمد الناصر لدين الله ابن الامام أبى محمد الحسن المستضئ بالله ابن الامام أبى المظفر يوسف المستنجد بالله ثم لمحيي دولته أبى المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين ثم لأخيه ولى عهده أبى بكر سيف الدين اه .

وفى سنة ٨١٩ أمر الملك المؤيد الخطباء اذا وصلوا الى الدعاء اليه ان يهبطوا من المنبر درجة ليكون اسم الله ورسوله فى مكان أعلى من المكان الذى يذكر فيه اسم السلطان . قال ابن حجر : وكان مقصد السلطان فى ذلك جميلا . اه [١]

٤٥ — المقاصير فى المساجد

المقصورة حاجز يعمل خارج المنبر والمحراب وتارة يكون من ضلعين وأحيانا من ثلاثة والضلع الرابع له وجهة المحراب . وهذا أشبه بالحاجز الحديد الذى صنعته لجنة الآثار العربية

قام مقام الخاشع المنيب   يفتك بالجامع فى القلوب
وقده فى شعره الغربيب   يميس مثل علم الخطيب

الى آخر ص ١١١ بدائع   (١) حسن المحاضرة ص ٢١٨ ج ٢

بجامع ابن طولون لمنع الايدى عن المنبر وانما يختلف عنه فى العلو . والآن يطلق لفظ المقصورة على الحاجز الموضوع أعلى قبور الاولياء والصالحين رضى الله عنهم .

أول من أحدث المقصورة فى الجوامع معاوية بن أبى سفيان سنة ٤٤ من الهجرة عملها فى المسجد وتفرد مع خاصته عن الناس . قال ابن قتيبة فى كتابه « المعارف » أول من اتخذ المقصورة فى المسجد معاوية وذلك انه أبصر على منبره كلبا اه .

وفى كتاب الأوائل : وقيل أول من بناها مروان لأنه ضرب بسكين وهو يصلى اه . وفى المقريزى : وقيل عثمان خوفا ان يصيبه ما أصاب عمر . صنعها من لبن وكانت فيها كوى تنظر الناس منها الى الامام . وقيل ان عمر بن عبد العزيز عملها بالساج . ولعل قرة بن شريك عمل مقصورة فى جامع عمرو بمصر .

وفي سنة ١٦١ أمر المهدى ثالث الخلفاء العباسيين بنزع المقاصير من مساجد الامصار وبتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعيدت بعد ذلك .

وفى ولاية موسى ابن أبى العباس على مصر بين سنى ٢١٩

و ٢٢٤ أمر المعتصم بالله العباسى أن يخرج المؤذنون الى خارج المقصورة بالجامع العتيق وكانوا قبل ذلك يؤذنون داخلها .

ثم أمر الامام المستنصر بالله ابن الظاهر الفاطمى بعمل الحجر المقابل للمحراب وبالزيادة فى المقصورة فى شرقيها وغربيها حتى اتصلت بالحذائين من جانبيها .

وفى سنة ٤٤٢ عملت لموقف الامام فى زمن الصيف مقصورة خشب ومحراب ساج منقوش بعمودى صندل وتقلع هذه المقصورة فى الشتاء اذا صلى الامام فى المقصورة الكبيرة (١)

وفى الجزء الرابع من صبح الأعشى مانصه : وقد صارت المقصورة سنة لملوك الاسلام تمييزا للسلطان عن غيره من الرعية وهى فى عهد الدولة البحرية بجامع القلعة على القرب من المنبر متخذة من شباك حديد محكمة الصنعة يصلى فيها السلطان ومن معه من أخصاء خاصكيته يوم الجمعة اه .

---

(١) مقريزى ص ٢٥٠ و ٢٥١ ج ٢

٤٦ — بيت المال بجامع عمرو

(تمهيد)

كانت الاموال التى ترد على المدينة من الغنائم الحربية والجزية فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر الصديق وشطر من عهد عمر بن الخطاب تفرق على ما يراه النبي أو الخليفة بلا قيد ولا ضبط ولا يبقى منه باق

ولما كثرت الفتوح زمن الخليفة الثانى واختلاط العرب بالروم والفرس واتسع نطاق المسلمين وسلطانهم وتكاثرت موارد المال الى المدينة وتعددت مصادر الفئ اضطر الخليفة الى ضبط ذلك فأنشأ الدواوين سنة ١٥ وقيل سنة ٢٠ وعمل خزانة أو دارا سماها « بيت المال » .

وفى الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامى تعريف عن بيت المال نصه : « كل ما استحقه المسلمون ولم يتعين مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال . وكل حق وجب صرفه فى مصالح المسلمين فهو حق على بيت المال »

والاموال التى يستحقها المسلمون ثلاثة أقسام :

الصدقة — وهى الزكاة تؤخذ من أغنياء المسلمين وتفرق فى فقرائهم

والغنيمة — وهى ما يكسبه المسلمون بالقتال وتشمل السبي والاسرى والارضين والمال

والفيء — وهو كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ولا بايجاف خيل ولا ركاب ويدخل فيه الجزية والخراج والاعشار وغيرها .

والاموال المستحقة على بيت المال أرزاق الجند وأثمان الكراع والسلاح وغير ذلك مما ينفق فى سبيل المصلحة العامة اهـ .

وبينما عمر بن الخطاب يفرق العطايا إذ قال له قائل . يا أمير المؤمنين لو شركت فى بيوت الأموال عدة لكون ان كان ؟ فقال كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله شرها وهى فتنة لمن بعدى . بل أعد لهم ما أعد الله ورسوله طاعة لله ورسوله هما عدتنا التى بها أفضينا الى ماترون فاذا كان المال ثمن دين أحدكم هلكتم .

وقال عمر للمسلمين انى كنت امرأ تاجرا يغنى الله عيالى

بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم هذا فما ترون أنه يحل لي في هذا المال ؛ وعلي ساكت. فأكثر القوم. فقال: ما تقول يا علي؟ فقال: ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره. فقال القوم القول ما قال علي. فأخذ قوته واشتدت حاجة عمر فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وعلي وطلحة والزبير فقالوا لو قلنا لعمر في زيادة نزيده إياها في رزقه ؛ فقال عثمان هلموا فلنستبرىء ما عنده من وراء وراء. فأتوا حفصة ابنته فأعلموها الحال واستكتموها أن لا تخبر بهم عمر. فلقيت عمر في ذلك فغضب وقال من هؤلاء لأسوءنهم ؛ قالت : لا سبيل إلى علمهم. قال أنت بيني وبينهم. ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس ؛ قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع. قال فأي الطعام ناله عندك أرفع ؛ قالت حرفا من خبز شعير فصببنا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل منها. قال وأي مبسط كان يبسط عندك كان أوطأ ؛ قالت كساء ثخين كنا نربعه في الصيف فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه. قال: يا حفصة. فأبلغيهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها

وتبلغ بالترجية فوالله لاصفن الفضول مواضعها ولا تبلغن بالترجية وانما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الاول وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضي اليه ثم أتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضي بزادهما الحق بهما وان سلك غير طريقهما لم يجامعهما اه [١] ٠

بنى بيت المال داخل الجامع العتيق الامير أسامة بن زيد التنوخي [٢] متولى الخراج بمصر في أيام سليمان بن عبد الملك وأمير مصر يومئذ عبد الملك بن رفاعة الفهمى وكان مال المسلمين فيه ٠ وفي سنة ١٤٥ في ولاية يزيد بن حاتم المهلبي من قبل المنصور طرقه قوم [٣] ممن كان بايع عليا بن محمد ابن عبد الله وهو أول علوى قدم مصر فنهبوا بيت المال ثم تضاربوا عليه بسيوفهم فلم يصل اليهم منه الا اليسير فأنفذ اليهم يزيد من قتل منهم جماعة وانهزموا ٠ وذكر ان هذا المكان تسور عليه لص في امارة أحمد بن طولون وسرق

---

(١) ابن الاثير ص ٢٤٧ ج ٢ (٢) وفي ابن دقماق أنه من بناء قرة بن شريك (٣) وفيه أيضاً فرج

منه بدرتى دنانير فظفر به أحمد واصطنعه وعفا عنه[١] .

وفى سنة ٣٧٨ أمر العزيز بالله بعمل الفوارة تحت قبة بيت المال فعملت وفرغ منها فى شهر رجب سنة ٣٧٩ اهـ .

ولا يمكن تعيين موضع بيت المال بالضبط ولكن اذا لوحظ ما كتبناه فى صفحة ٣٣ كان موضع بيت المال فى الايوان الشرقى على يسار المحراب الكبير وبعبارة أوضح كان فى المنطقة المحصورة بين (ى ل م ن) من الرسم الموضح في ص ٣٠ من هذه المحاضرة

* * *

هكذا كان الحال مدة تتبع مصر الى العباسيين . فلما ملكها الفاطميون وأنشئوا القاهرة وضعوا بيت المال بالقصر الكبير وعينوا له وكيلا متصرفا جاء عنه فى صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٧ ما نصه :

« وكانت هذه الوكالة لا تسند الا لذوى الهيبة من شيوخ العدول ويفوض اليه عن الخليفة بيع ما يرى بيعه من

---

(١) وفى ابن دقماق ولهذه القصة شرح لكنه لم يقع الى من جهة أسكن اليها فلهذا اقتصرت على ماذكرت

كل صنف يملك ويجوز التصرف فيه شرعا ، وعتق المماليك وتزويج الاماء ، وتضمين مايقتضى الضمان ، وابتياع ما يرى ابتياعه ، وانشاء ما يرى انشاؤه من بناء المراكب ، وغير ذلك مما يحتاج اليه فى التصرف عن الخليفة » اه .

ولما تغلب الايوبيون على الفاطميين وأنشأوا القلعة أوجدوا بيت المال بداخلها وكان له ديوان خاص يعرف بالديوان السامى جاء عنه فى آثار الأول المؤلف سنة ٧٠٩ مانصه:

« وهو أصل الدواوين ومرجعها اليه ووظيفة صاحبه ان يثبت فى جرائده (دفاتره) جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفىء وغنائم واعشار وأخماس . ويثبت ما تحصل من ذلك ، ويتخذ بيوتا لأصناف الاموال ويجعل عليها دواوين وحراسا . فالاموال والقماش لها ديوان الخزانة ومباشره قضاة المسلمين بأنفسهم بلا نواب عنهم ومعهم خزندارية أمناء أكفياء أقوى الناس ديانة . والغلال لها ديوان الاهراء ومباشروه من أكبر العدول الدينية الاعفاء والاسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح ومباشره محتسب البلد لأنه يعرف أمور الاستعمالات وأجر الصناع

وأسعار الآلات .

فيجب لصاحب ديوان النفقات ان يكون مباشرا لديوان بيت المال ليدخر عنده التواقيع الثابتة الدالة على صحة مصروف النفقات . ثم يرفع من أصناف الجواهر ما يختص بالسلطان ، ومن الأموال الخالصة من الذهب والفضة بغير غش الى خزانة الخاص . وأما النحاس أو الحديد فاذا لم يتعهد صدىء وتلف . واللؤلؤ يصفر . والزمرد يتفطر اذا خزن ولم يتفقد ، والياقوت الاحمر ثابت لا يتغير .

فيجب ازاحة أعذار هؤلاء المباشرين وملء أعينهم والتوسعة عليهم بكل وجه من خيل وملابس ونفقات وغلمان وعبيد » اهـ .

وقد استمر بالقلعة الى القرن الثالث عشر الهجرى الا أنه انحط فى القرن التاسع انحطاطا شديدا حتى وصفه المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ بقوله :

« وكان الوارد والمنصرف فى سنة أربعمائة ألف دينار ثم تلاشى المال وبيت المال وذهب الاسم والمسمى ولا يعرف اليوم بيت المال من القلعة ولا يدرى من هو ناظر بيت المال اهـ .

ولما انتقل كرسى الخديوية الى قصر عابدين وأنشئت الدواوين باحيائها صار بيت المال هو وزارة المالية الآن .

٤٧ — منارات الجامع [1]

أول ما أنشئت المنارات بالجامع العتيق فى زمن مسلمة ابن مُخَلَّد الانصارى سنة ٥٣ وهو يومئذ أمير مصر . وكان يقال لها وقتئذ صوامع مفردها صَوْمَعَة سميت بذلك لتلطيف أعلاها لأنها دقيقة الرأس ولم يعلم شكلها تماما والغالب انها مربعة الأسفل مخروطية الأعلى كما يشاهد فى منارات القرى بالارياف

وقيل ان معاوية بن أبى سفيان أمر مسلمة ببناء الصوامع للأذان فجعل للمسجد أربع صوامع فى أركانه الأربع وجعل السلم الذى يرتقى اليها منه فى الطريق فحوله داخل المسجد خالد بن سعيد .

ولما كثرت المساجد الخطية (نسبة الى الاخطاط التى هى بمنزلة الحارات اليوم) بالفسطاط أمر مسلمة ببناء المنارات

(١) تكلمنا على أصل المنارات فى المحاضرة الرابعة

فى جميع المساجد خلا مساجد تجيب وخولان فان زوجته الخولانية شفعت فى قومها وبنت تجيب تقارب مساجدها فأعفاها . وكان يبدأ بالأذان فى الجامع العتيق أولا فاذا فرغ أذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد فكان لأذانهم دوى شديد(1)

اعتكف مسلمة مرة فى احدى صوامع المسجد الجامع فسمع أصوات النواقيس(2) عالية بالفسطاط فدعا شرحبيل فأخبره بما ساءه من ذلك . فقال شرحبيل : فانى أمدد بالأذان من نصف الليل الى قرب الفجر فانهم أيها الأمير ان

---

(1) ابن دقماق ٦٢ ج ٤ والمقريزى ص ٢٤٨ ج ٢

(2) نذكر هنا ماقاله أبو العلاء المعرى تلميحا عن الاذان والناقوس وان كان فيه مايدل على ارتيابه فى العقيدة . قال

فى القدس قامت ضجة ما بين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق وذا بمئذنة يصيح
كل يعزز دينه ياليت شعرى ما الصحيح

وننقل ماجاء فى نزهة الجليس ص ٨٧ ج ٢ وفيه الجناس التام

رأيته يضرب الناقوس قلت له من علم الظبى ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أى الضرب يؤلمك ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

ينقسوا اذا أذنت فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الاذان ومدد شرحبيل ومططأ كثر الليل الى ان مات سنة ٦٥

وطريقة الاذان بمصر والبلاد الاسلامية مذكورة بأسهاب فى الخطط المقريزية ص ٢٦٩ ج ٢ فليطلع عليهما من يريد

*
* *

بعد ذلك عمل بالجامع منارة فى وسط الجنب الغربى فصار به خمس منارات (١) ثنتان فى قبليه وثلاثة فى بحريه —

....

(١) قال على بن ظافر : وروى أن الاعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك على بن مفرج بن المنجم اجتمعا فى منار الجامع ليلة فطر ظهر بها الهلال للعيون وبرز فى صفحة بحر النيل كانون ومعهما جماعة من غواة الادب الذين ينسلون اليه من كل حدب فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربة والى مستقرها جارية ذاهبة قد شمرت للمغيب الذيل واصفرت خوفا من هجوم الليل والهلال في حمرة الشفق كحاجب الشائب أو زورق الورق اقترحوا عليهما وصف تلك الحال فصنع ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة ... وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وأبقت شعاعا منه يخلفها ... كأنما احترقت بالماء فى الغرق
وللهلال فهل وافى لينقذها ... فى أثرها زورق قد صيغ من ورق

فالتي في قبليه فالغرفة وهي المئذنة التي في ركنه القبلي مما

....

وصنع نشو الملك

يارب سامية في الجو قمت بها	أمد طرفي في أرض من الافق
حيث العشية في التمثيل معركة	اذا رآها جبان مات للفرق
والشمس هاربة للغرب داعية	بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا	من سورة الطعن ماقي في دم الشفق

وكانت العادة في مصر أن يوضع قنديل موقد على منار كل جامع إيذانا بوقت السحور في رمضان ثم تغيرت بأن توضع جملة قناديل في المنارات من وقت الغروب وتبقى موقدة حتى وقت الرفع وهو وقت الامساك . وقد زيد على ذلك الآن ضرب مدفع في السحور ومثله في الرفع تنبيها للصائمين والذين لم يروا المنارات أو لم تكن قريبة منهم • وكان لفانوس السحور في الجامع العتيق شأن يذكر لانه العلم الوحيد للصائمين وقد قال فيه الادباء كثيرا . فمما جاء فيه قول علي بن ظافر وكان عائشاً في أوائل القرن السابع الهجرى . قال واجتمعنا ليلة في رمضان بالجامع فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث وقد وقد فانوس السحور فقلت فيه

ألست ترى حسن المنار وضوءه	يرفع من جنح الدجنة أستارا
تراه اذا جن الظلام مراقبا	له مضرما في قلب فانوسه نارا
كصب بخود من بني الزنج سامها	وصالا وقد أبدى لترغب دينارا

يلى الغربى (الشرقى القبلى الآن) . والكبيرة وهى التى فى ركنه القبلى مما يلى الشرقى (الشرقى البحرى الآن) وقد عمل محلها قبة عبد الله بن عمرو

والتى فى بحريه (الغربى الآن) فالمنارة الجديدة وهى التى فى ركنه البحرى مما يلى الشرقى .

والمنارة السعيدة وهى الوسطى فيما بين الجديدة والمستجدة والمستجدة وهى التى تعلو باب السطح ومدار السلم

....

وقال أبو العز مظفر الاعمى

أرى علما للناس فى الصوم ينصب ... على جامع ابن العاص أعلاه كوكب

وما هو فى الظلماء إلا كأنه ... على رمح زنجى سنان مذهب

ومن عجب أن الثريا سماؤها ... مع الليل تاهى كل من يترقب

فطورا تحييه بباقة نرجس ... وطوراً يحييها بكاس تلهب

وما الليل الا قانص لغزالة ... بفانوس نار نحوها يتطلب

ولم أر صياداً على البعد قبله ... اذا قربت منه الغزالة يهرب

اه بدائع البدائه ص ١٤٨ بالمطبعة الاميرية سنة ١٢٧٨

وكان عنبسة أمير مصر الذى تولى سنة ٢٣٨ ينادى فى شهر رمضان السحور (مقريزى)

وهى فى الركن البحرى مما يلى الشرقى [١] (الركن الغربى القبلى الآن) .

* * *

والموجود الآن منارتان هما من انشاء الأمير مراد بك محمد سنة ١٢١١ احداهما فى الزاوية الشرقية القبلية وهى محل المئذنة الأولى .

والثانية فى منتصف الجنب الغربى للجامع أعلى الباب الاول من الابواب الثلاثة التى بالجنب المذكور .

٤٨ — سطح الجامع [٢]

وكان يتوصل الى سطحه من أربعة أبواب لكل باب مطلع . قال ابن دقماق

....

(١) ابن دقماق ٦١ ج ٤ وصبح الاعشى ٣٤٢ ج ٣

(٢) وقال ابن ظافر أخبرنى أبو عبد الله بن المنجم بما معناه صعدت الى سطوح الجامع بمصر فى آخر شهر رمضان مع جماعة فصادفت الاديب الأعز أباالفتوح ابن قلاقس وعلى بن مفرج بن المنجم وابن مؤمن وشجاعا المغربى فانضمت اليهم فلما غابت الشمس وفاتت ودفنت

الاول — من قاعة الخطابة وهو الذى يسلكه المؤذنون فى يوم الجمعة خاصة

الثانى — فى جداره القبلى (الشرقى) يعرف بباب الفانوس وهو يجاور خزانة الزيت . والعادة أن يصعد منه بالفانوس فى

....

فى المغرب حين ماتت ، وتطرز حداد الظلام بعلم هلاله ، وتحلى زنجى الليل بخاخاله ، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يصنعا فى صفة الحال فأطرق كل منهما مفكراً ، وميز ماقذفه اليه بحر خاطره من جواهر المعانى متخيراً ، فلم يكن الا كرحبة طرف ، أو وثبة طرف ، حتى أنشدا فكان ماصنعه ابن المنجم

وعشاء كأنما الافق فيه لازورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمـــس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه الغرب دينا را فأعطاه الرهن نصف سوار

وكان الذى صنعه ابن قلاقس

لاتظن الظلام قد أخذ الشمـــس وأعطى النهار هذا الهلالا
انما الشرق أقرض الغرب دينا را فأعطاه رهنه خلخالا

وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الاعز لتنصيفه السوار وعلى كل حال فقد ابدعا ولم يتركا للزيادة في الاحسان موضعا اهـ

١٢٩ بدائع

شهر رمضان لقربه من الخزانة والمئذنة

الثالث — من الفوارة من مطلع الغرفة التى فوق غرفة الساعات . اه وغفل ابن دقماق عن ذكر الباب الرابع .

وقد كان بسطح الجامع غرف كثيرة هدمها القاضى ابن بنت الاعز ونوهنا عنها فى صفحة ٣٦ من محاضرتنا هذه

وقد زعم بعضهم أن سطح الجامع من الاماكن المعروفة بالبركة واجابة الدعاء قال : ومنها سطح الجامع والطواف به سبع مرات يبدأ بالاولى من باب الخزانة الاولى التى يستقبلها الداخل من باب السطح وهو يتلو الى أن يصل الى زاوية السطح اليسرى التى عند المئذنة المعروفة بعرفة يقف عندها ثم يدعو بما أراد ثم يمر وهو يتلو الى أن يصل الى الركن الشرقى عند المئذنة المشهورة بالكبيرة ثم يدعو بما أراد ويمر الى الركن البحرى الشرقى فيقف فيه محاذيا لغرفة المؤذنين ويدعو بما أراد ثم يمر وهو يتلو الى المكان الذى ابتدأ منه . يفعل ذلك سبع مرات فان حاجته فى ذلك الوقت تقضى اه[1] . مقريزى ص ٢٥٥ ج ٤ وابن دقماق ٧٥ ج ٤

(١) قال بعضهم : ومما يستحب به الدعاء فى هذا الطواف « اللهم

٤٩ – ليالى الوقود بالجامع

كان للخلفاء الفاطميين أعياد ومواسم تتسع بها أحوال الرعية . منها ليالى أول رجب ونصفه وأول شعبان ونصفه وتسمى ليالى الوقود . وأصلها ما رواه الفا كهى فى كتاب مكة قال : ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصيح فى أهل مكة ويقول : يا أهل مكة . أوقدوا ليلة هلال المحرم فأوضحوا فجاجكم لحاج بيت الله واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا

....

ياموضع حاجات المؤمنين ومنتهى مسائل السائلين وغياث المستغيثين وفوز المستضعفين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف الكرب العظيم صل على محمد وآله الطاهرين وتولنى بحفظك وحطنى بسرادق عرشك واضرب علىّ مدينة حصنك واسبل على سترك ولا تغض عنى طرفك ولا تولنى غيرك واصرف عنى شرار خلقك برحمتك يا أرحم الراحمين ياودود ياودود ياذا العرش المجيد يامبدئ يامعيد يافعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وأسألك برحمتك التى وسعت كل شىء علما لا إله الا أنت يامغيث أغثنى « ثلاث مرات » برحمتك أغثنى . اه

ابن دقماق

وكان الأمر على ذلك بمكة فى هذه الليلة حتى كانت ولاية عبدالله بن محمد بن داود على مكة فأمر الناس ان يوقدوا ليلة هلال رجب فيحرسوا عمار أهل اليمن ففعلوا ذلك فى ولايته ثم تركوه بعد .

وكان فى ليلة النصف من رجب سنة ٤١٥ اجتماع لم يشهد مثله أوقدت المساجد كلها بمصر والقاهرة أحسن وقيد وكان مشهداً عظيما بعد عهد الناس بمثله — وكذلك فى ليلة شعبان أيضاً — وقد كان الحاكم بأمر الله أبطل ذلك الاجتماع

ولما كانت ليلة مستهل رجب سنة ٥١٦ قال الخليفة الآمر لوزيره المأمون : انك قد أعدت لدولتى بهجتها وجددت فيها من المحاسن مالم يكن وقد أخذت الايام نصيبها من ذلك وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم قد زال حكمها وهى ليالى الوقود الاربع وقد آن وقتهن فأشتهى نظرهن . فامتثل الامر وأمر بأن يحمل الى القاضى ٥٠ دينارا يصرفها فى ثمن الشمع وان يعتمد الركوب فى الليالى المذكورة وان يأمر جميع الشهود بأن يركبوا صحبته وان يطلق للجوامع والمساجد توسعة فى الزيت برسم الوقود . وكان يطلق فى

الاربع الليالى برسم الجوامع الستة الازهر والاقمر والانور والطولونى والعتيق وجامع القرافة ، والمشاهد التى تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التى لأربابها وجاهة جملة كبيرة من الزيت الطيب .

حدث القاضى المسكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود ان من جملة الخدم التى كانت بيده مشارفة الجامع العتيق وان القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة الى ان يكملوا صنع ١٨ ألف فتيلة وان المطلق برسمه خاصة فى كل ليلة برسم وقوده ١١ ½ قيراط زيت طيب . (أى لكل فتيلة ٩ ½ دراهم زيت) .

وذكر ركوب القاضى والشهود فى الليلة المذكورة على جارى العادة قال : وتوجه الوزير المأمون بموكبه الى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من المشاهد ثم الى جامع القرافة وبعده الى الجامع العتيق بمصر وقد عم معروفه جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة . وعند انقضاء الصلاة أحضر اليه الشريف الخطيب المصحف الذى بخط على بن أبى طالب

رضى الله عنه فوقع باطلاق ١٠٠٠ دينار من ماله وان يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب وكتب عليه اسمه .

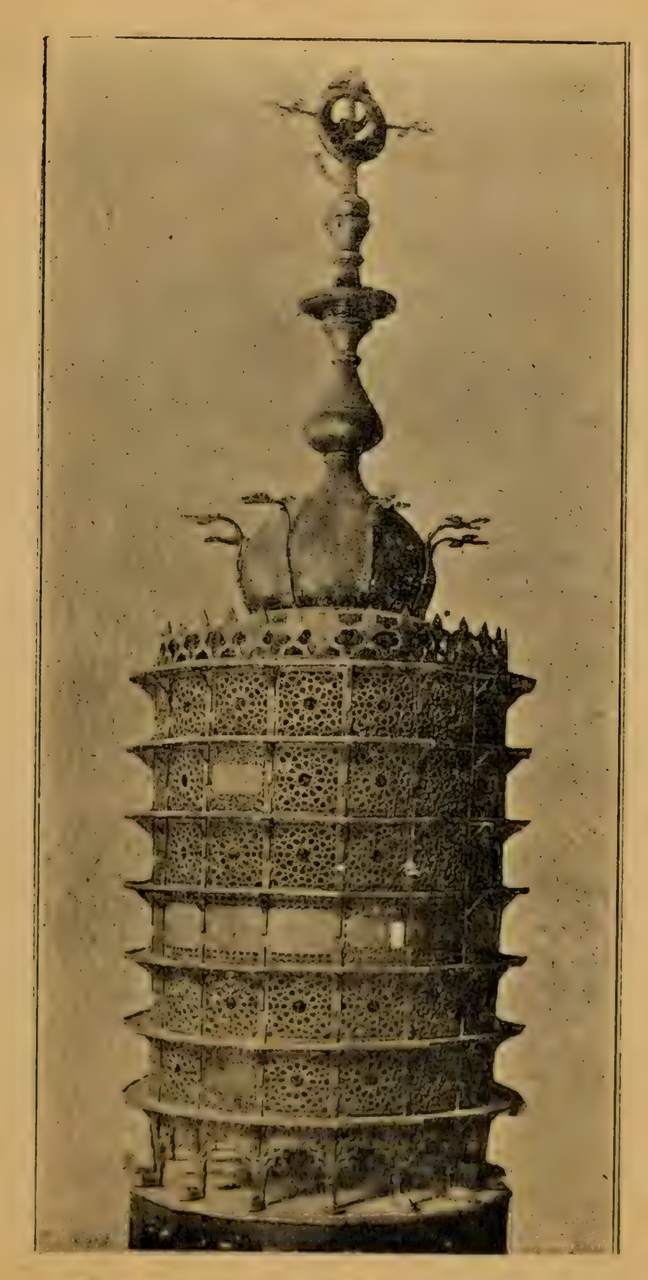
وقد وصف ابن الطوير ركوب القاضى وصفاً بليغاً جاء من ضمنه :

« فيشق القاضى والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالباً مصر بغير نظام ووالى القاهرة فى خدمته الى جامع ابن طولون فيدخل القاضى اليه للصلاة فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التى فى طريقه أيضاً فاذا وصل الى باب مصر ترتب الموكب وصار شاقا الشارع الاعظم الى باب الجامع من الزيادة التى يحكم فيها فيوقد له التنور الفضة الذى كان معلقا فيه وكان مليحا فى شكله وتعليقه متناسبا فى طوله وعرضه واسع التدوير فيه عشر مناطق فى كل منطقة ١٢٠ بزاقة وفيه سروات بارزة مثل النخيل فى كل واحدة عدة بزاقات تقرب عدة ذلك من ٣٠٠ ومعلق بدائر سفله ١٠٠ قنديل نجومية .

وهذا التنور أوجده الحاكم بأمر الله بهذا الجامع فى



اللوحة الحادية عشرة



تنور نحاس من انشاء السلطان الغورى (رسم لسكيجيان)

سنة ٤٠٣ وزنته ١٠٠ الف درهم فضة .

وقد كان من اجتماع الناس لمشاهدته عند ارساله الى الجامع مايتجاوز الوصف . وقد علق بالجامع بعد ان هدمت المصاطب وحفرت الدروب لأجله وبعد ان قلعت عتبتا باب الجامع [١] .

ومن باب التسامح نأتى هنا بصورة تنور من نحاس مفرغ فيه سبع مناطق فى كل منطقة ٤٨ بزاقة وفيه سروات بارزة كالأيادى من الأعلى بها ٢٤ بزاقة و ٦ بالصينية العليا و ٨ بالذراعين فجميع مابه من البزاقات ٣٧٤ بزاقة صنعه السلطان قانصوه الغورى المتوفى سنة ٩٢٢ وهو مودع بدار الآثار العربية بالقاعة العاشرة تحت رقم ١٣٦ (أنظر اللوحة الحادية عشرة)

ويخرج له حاكم مصر فان كان ساكنا بمصر استقر بها وان كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة الى داره — الخ ما قاله المقريزى فى الجزء الاول .

....

(١) المقريزى وحسن المحاضرة وصبح الاعشى

٥٠ — أبواب الجامع (١)

وكان به ثلاثة عشر بابا على هذا الترتيب

عدد

١ باب فى الجنب القبلى (الشرقى الآن) وهو المشهور

(١) فى امارة أبى الحسن ذكا الرومى الأعور الذى تولى على الصلاة بمصر سنة ٣٠٣ كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن . فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون فاجتمع الناس فى رمضان سنة ٣٠٥ الى دار ذكا يتشكرونه على ما أذن لهم فيه

فوثب الجند بالناس فنهب قوم وجرح آخرون ومحى ما كتب على أبواب الجامع ونهب الناس فى المسجد والاسواق ومازال أمر الشيعة يقوى الى سنة ٣٥٠ فى يوم عاشوراء تنازع بعض الجند والرعية عند قبر كلثوم العلوية بسبب ذكر السلف والنوح قتل فيه جماعة من الفريقين وتعصب السودان على الرعية فكانوا اذا لقوا أحدا قالوا له من خالك ؟ فان لم يقل معاوية والا بطشوا به وشلحوه ثم كثر القول « معاوية خال على » وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان فى كل يوم جمعة فى وجوه الناس « معاوية خالى وخال المؤمنين وكاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم » وكان هذا أحسن مايقولونه والافقد كانوا يقولون معاوية خال على من هاهنا ويشيرون الى أصل الاذن . ويلقون أبا جعفر مسلما

بباب الزيز خته الذى يدخل منه الخطيب

٣ أبواب فى الجنب البحرى (الغربى الآن) أحدهما الى الزيادة الشرقيـة والثانى الى الزيادة الغربيـة الى مجلس الحـكم الشافعى والثالث الى باقى الزيادة المذكورة

....

الحسينى فيقولون له ذلك فى وجهه • وكان بمصر اسود يصيح دائمـا « معاوية خال على » فقتل بتنيس أيام القائد جوهر .

وفى سنة ٣٥٦ كتب فى صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل فأمر كافور بازالته . فحدثه جماعة فى اعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال : ما أحـدث فى أيامى مالم يكن وما كان فى أيام غيرى فلا أزيله وما كتب فى أيامى أزيله . ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها .

ولمـا دخـل المعز مصر أمر فى رمضان سنة ٣٦٢ فـكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام » .

وفى صفر من سنة ٣٩٥ كتب على سائر المساجـد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه من جميع جوانبه وعلى أبواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر والصحراء سب السلف ولعنهم ونقش ذلك ولون بالاصباغ والذهب وعمـل ذلك عـلى أبواب الدور والقياسر واكره الناس على ذلك . وفى سنة ٣٩٧ أمر الحاكم بأمر الله بمحو ما كتب على المساجد : مقريزى ٣٤٠ ج ٢

٥ أبواب فى الجنب الشرقى (البحرى الآن) على صف شارعة على الطريق وهى (١) باب الشرابيين (٢) باب زاوية فاطمة (٣) باب عمرو أى المقابل لدار عمرو الصغرى (٤) باب الحلوانيين أى لمقابلته لحوانيت الحلوانيين

....

ولما قامت دولة بنى بويه ببغداد فى سنة ٣٣٤ وأظهروا التشيع كتبوا على أبواب المساجد فى سنة ٣٥١ « لعن الله معاوية بن أبى سفيان ولعن من أغضب فاطمة ومن منع الحسن أن يدفن عند جده ومن نفى أبا ذر الغفارى ومن أخرج العباس من الشورى » فلما كان الليل حكه بعض الناس فأشار الوزير المهلبى أن يكتب باذن معز الدولة لعن الله الظالمين لاهل البيت ولا يذكر أحداً فى اللعن غير معاوية ص ٣٥٧ ج ٢ مقريزى

ورأى أبو مسلم الخراسانى فى حائط مسجد فى بلاد الصعيد سب الثلاثة فقال ماهذه بلاد اسلام ونظم

ذرنى وأشياء فى نفسى مخبأة ... لألبسن لها درعا وجلبابا
والله لو ظفرت نفسى ببغيتها ... ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبا
حتى أطهر هذا الدين من دنس ... وأوجب الحق للسادات ايجابا
وأملأ الارض عدلا بعد ماملئت ... جوراً وافتح للخيرات أبوابا

١٨٥ كشكول

(٥) باب الجنائز أى لخروج الجنائز منه ويعرف أيضا بباب الكحل .

٤ أبواب فى الجنب الغربى وهى ١و٢ بابان للزيادة الغربية (٣) باب سوق الغزل لمقابلته لسوق الغزوليين (٤) باب الاكفانيين لمقابلته لسوقهم وجلوسهم فيه . اه ابن دقماق — ومواضعها مفصلة فى اللوحة رقم ٢

والموجود الآن سبعة ثلاثة فى الجنب الغربى المعبر عنه سابقاً بالجنب البحرى . وثلاثة مسدودة فى الجنب البحرى المعبر عنه بالشرقى وواحد فى الجنب القبلى المعبر عنه بالغربي

٥١ — القصص بجامع عمرو

قال القضاعى : روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لم يقص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى بكر ولا عمر ولا عثمان رضى الله عنهم وانما كان القصص فى زمن معاوية رضى الله عنه .

وفى رواية عمر بن شيبة أنه قيل للحسن متى احدث القصص ؟ قال فى خلافة عثمان بن عفان . قيل من أول من

قص ؟ قال تميم الدارى .

وعن ابن شهاب أنه قال : أول من قص فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الدارى . استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر فى يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر . فاستأذن تميم عثمان في ذلك فأذن له أن يذكر يومين فى الجمعة فكان تميم يفعل ذلك .

وقيل أول من قص بمكة عبيد بن عمير بن قتادة الليثى .

ويقال أن أول من قص الأسود بن سريع التميمى وكان من الصحابة وكان يقول فى قصصه في الميت

ان تنج منها تنج من ذى عظيمة والا فانى لا أخالك ناجيا

وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن علياً رضى الله عنه قنت فدعا على قوم من أهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو له ولأهل الشام . قال يزيد وكان ذلك أول القصص

وروى عن عبد الله بن مغفل قال : أمّنا على رضى الله عنه فى المغرب فلما رفع رأسه من الركعة الثالثة ذكر معاوية أولا وعمرو ابن العاص ثانياً وأبا الأعور السلمى ثالثا وكان أبو موسى الرابع .

وقال الليث بن سعد : القصص قصصان قصص العامة وقصص الخاصة.

فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه [(١)] .

وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ولى رجلا على القصص فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولأهل ولايته ولحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة اهـ .

ويقال أن أول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبى فى سنة ٣٨ وجمع له القضاء الى القصص ثم عزل عن القضاء وافرد بالقصص وكانت ولايته عليهما ٣٧ سنة منها سنتان قبل القضاء وكان يرفع يديه فى القصص اذا دعا .

وشكا عبد الملك بن مروان الى العلماء ما انتشر عليه من أمور رعيته وتخوفه من كل وجه فأشار عليه أبو حبيب الحمصى

---

(١) وسنترك هذا الباب لحضرات الاساتذة العلماء فهم أدرى من غيرهم بهذا الموضوع

القاضى بأن يستنصر عليهم برفع يديه الى الله تعالى فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه وكتب الى القصاص فكانوا يرفعون أيديهم بالغداة والعشى . اهـ(١)

٥٢ — القراءة بالجهر من المصحف بجامع عمرو

كان بهذا الجامع مصحفان : أحدهما مصحف أسماء بنت أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان . والثانى مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

فاما مصحف أسماء فقال عنه المقريزى نقلا عن القضاعى ما يأتى:

كان السبب فى كتب هذا المصحف ان الحجاج بن يوسف الثقفى كتب مصاحف وبعث بها الى الامصار ووجه الى مصر بمصحف منها فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك وكان الوالى يومئذ من قبل أخيه عبد الملك وقال : يبعث الى جند أنا فيه بمصحف ؛ فأمر فكتب له هذا المصحف الذى فى المسجد الجامع اليوم . فلما فرغ منه قال : من وجد فيه حرفا خطأ فله رأس أحمر (جمل) وثلاثون دينارا فتداوله

(١) المعارف لابن قتيبة والمقريزى

القراء فأتى رجل من قراء الكوفة اسمه زُرعة بن سهل الثقفى فقرأه تهجيا . ثم جاء الى عبد العزيز فقال له : انى قدوجدت فى المصحف حرفا خطأ . فقال مصحفى ؟ قال : نعم . فنظر فاذا فيه « ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة » فاذا هى « نجعة » فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه وأبدلت الورقة ، ثم أمر له بالدنانير والرأس .

ولما فرغ من هذا المصحف كان يحمل الى المسجد الجامع غداة كل جمعة من دار عبد العزيز فيقرأ فيه ثم يقص ثم يرد الى موضعه . فكان أول من قرأ فيه عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى لأنه كان يتولى القضاء والقصص يومئذ فى سنة ٧٦

ولما توفى عبد العزيز فى سنة ٨٦ بيع هذا المصحف فى ميراثه فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار ثم توفى أبو بكر فاشترته ابنته أسماء بسبعمائة دينار فأمكنت الناس منه وشهرته فنسب اليها .

فلما توفيت اشتراه عمها الحكم بن عبدالعزيز من ميراثها بخمسمائة دينار فأشار عليه توبة بن نمر الحضرمى القاضى وهو متولى القصص يومئذ بالمسجد الجامع فجعله فى المسجد الجامع

سنة ١١٨ وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير فى كل شهر من غلة الاصطبل فكان توبة أول من قرأ فيه بعد ان أقرّ فى الجامع .

وتولى القصص بعد توبة أبو اسمعيل خير بن نعيم الحضرمى القاضى فى سنة ١٢٠ وجمع له القضاء والقصص فكان يقرأ فى المصحف قائما ثم يقص وهو جالس فهو أول من قرأ فى المصحف قائما .

ولم تزل الأئمة يقرؤن فى المسجد الجامع فى هذا المصحف كل يوم جمعة الى أن ولى القصص أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانى فى سنة ١٨٢ فقرأ فيه يوم الاثنين وجعل له عشرة دنانير على القصص فى كل شهر وهو أول من سلم فى الجامع بتسليمتين بكتاب ورد من المأمون يأمر فيه بذلك وصلى خلفه الأمام محمد بن ادريس الشافعى حين قدم إلى مصر واستحسن صلاته . فقال : هكذا تكون الصلاة ماصليت خلف أحد أتم صلاة من أبى رجب ولا أحسن .

ولما ولى القصص حسن بن الربيع بن سليمان فى سنة ٢٤٠ زاد فى قراءة المصحف يوما فكان يقرأ أيام الاثنين

والخميس والجمعة .

ولما ولى حمزة بن أيوب الهاشمى القصص فى سنة ٢٩٢ صلى فى مؤخر المسجد حين نكس وأمر أن يحمل اليه المصحف ليقرأ فيه ، فقيل له أنه لم يحمل المصحف الى أحد قبلك فلو قمت وقرأت فيه فى مكانه ؛ فقال : لا أفعل . ولكن ائتونى به فان القرآن علينا أنزل والينا أتى . فأتى به . فقرأ فيه في المؤخر وهو أول من قرأ فى المصحف فى المؤخر . ولم يقرأ فى المصحف بعد ذلك فى المؤخر الى أن تولى أبو بكر محمد بن الحسن السوسى الصلاة والقصص فى سنة ٤٠٣ فنصب المصحف فى مؤخر الجامع حيال الفوارة وقرأ فيه أيام نكس الجامع فاستمر الأمر على ذلك الى الآن .

ولما تولى القصص أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلم الملطى فى سنة ٣٠١ عزم على القراءة فى المصحف فى كل يوم فتكلم على بن قديد فى ذلك ومنع منه . وقال : اعزم على أن يخلق المصحف ويقطعه ؟ أيرى عبد العزيز بن مروان حياً فيكتب له مثله ؟ فرجع الى القراءة ثلاثة أيام .

وكان قد حضر الى مصر رجل من أهل العراق وأحضر

مصحفاً ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان وأنه الذى كان بين يديه يوم الدار ، وكان فيه أثر الدم ، وذكر أنه استخرج من خزائن المقتدر ، ورفع المصحف الى عبدالله بن شعيب المعروف بابن بنت وليد القاضى ، فأخذه أبو بكر الخازن وجعله فى الجامع وشهره وجعل عليه خشباً منقوشا ، وكان الامام يقرأ فيه يوما وفى مصحف أسماء يوما . ولم يزل على ذلك الى أن رفع هذا المصحف واقتصر فيه على القراءة فى مصحف أسماء وذلك فى أيام العزيز بالله فى المحرم سنة ٣٧٨

وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان لأن نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد .

قال المقريزى : ورأيت أنا هذا المصحف وعلى ظهره مانسخته [١] « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه حمله المبارك مسعود بن سعد الهيتى لجماعة المسلمين القرّاء للقرآن التالين له المتقربين الى الله جل ذكره بقراءته والمتعلمين له ليكون محفوظا أبدا مابقى ورقه ولم يذهب رسمه

---

(١) هذا النص وارد برمته فى ص ٢ ج ٤ ابن دقماق

ابتغاء ثواب الله عز وجل ورجاء غفرانه وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته إليه أناله الله ذلك برأفته وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه »

وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف والمندرس يشبه أن يكون « وتبصر في ورقه وقصد بإيداعه فسطاط مصر في المسجد الجامع جامع المسلمين العتيق ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عني به وكان ذلك في يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة سبع وأربعين وثلثمائة وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

قال ابن المتوج : ودليل بطلان ما قاله المعترض ظهور التعصب على عثمان من تجيب وخلفائهم أن الناس قد جرّبوا هذا المصحف ، وهو الذي على الكرسي الغربي من مصحف أسماء أنه ما فتح قط إلا وحدث حادث في الوجود لتحقيق ما حدث أولا والله أعلم . اهـ [1]

(١) مقريزى ص ٢٥٤ ج ٢

وقد عاين أحد هذين المصحفين محمد بن أحمد المقدسى المعروف بالبشارى وتكلم عليه فى كتابه أحسن التقاسيم الذى فرغ من تأليفه فى سنة ٣٧٥ فقال :

« والرسوم بجوامع مصر هى : اذا سلم الامام كل يوم من صلاة الغداة وضع بين يديه مصحفاً يقرأ فيه جزأ ويجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكرين » اﻫ .

وقد بقى هذا المصحف بالجامع حتى فقد بعضه فكمله عزيز مصر المغفور له محمد على باشا بخط عربى فى سنة ١٢٤٦ ثم نقل فى القرن الرابع عشر الهجرى الى دار الكتب السلطانية وهو موجود بها الآن ومكتوب على رق غزال .

وقد كان بهذا الجامع مصحف منسوب الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . أطلق له من ماله الخاص الوزير المأمون البطائحى فى شهر رجب سنة ٥١٦ الف دينار قال المقريزى : وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثانى شهر رجب سنة ٥١٦ بموكبه الى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من المشاهد ثم الى جامع القرافة وبعده الى الجامع العتيق

بمصر وقد عم معروفه جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة وعند انقضاء الصلاة أحضر اليه الشريف الخطيب المصحف الذى بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فوقع باطلاق الف دينار من ماله وان يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب وكتب عليه اسمه اه [١] .

وهذا المصحف والمصحف المنسوب لسيدنا عثمان موجودان الآن بداخل خزانة الآثار الشريفة بالمشهد الحسينى

وفى سنة ٤٠٣ أنزل الحاكم بأمر الله من القصر الكبير الشرقى بالقاهرة الى الجامع العتيق ١٢٩٨ مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ما هو مكتوب كله بالذهب ومكن الناس من القراءة فيها [٢] .

٥٣ — التدريس بالجامع

كان بالجامع زوايا يدرس فيها الفقه ذكرها ابن المتوج ونقلها عنه المقريزى قال ما ملخصه :

(١) مقريزى ص ٣٤٧ ج ٢ مايجى (٢) مقريزى ص ٢٥٠ ج ٢

١ زاوية الامام الشافعي يقال انه درس بها فعرفت به (١)

٢ الزاوية المجدية بصدر الجامع بجوار المحراب الكبير رتبها مجدالدين أبو الاشبال الحارث وزير الملك الاشرف موسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب «بحرّان» توفى المجد سنة ٦٢٨

٣ الزاوية الصاحبية حول عرفة رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا

٤ الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب سوق الغزليين

(١) هى بالجناح البحرى الآن كما نص عليها ابن بطوطة فى رحلته • وفى ابن خلكان فى ترجمة البويطى : وقال الخطيب البغدادى فى تاريخه : لما مرض الشافعى مرضه الذى مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطى فى مجلس الشافعى فقال البويطى : أنا أحق به منك . وقال ابن عبد الحكم : أنا أحق بمجلسه منك • فجاء أبو بكر الحميدى وكان فى تلك الايام بمصر فقال : قال الشافعى : ليس أحد أحق بمجلسى من يوسف بن يحيى وليس أحد من أصحابى أعلم منه • فقال له ابن عبد الحكم : كذبت • فقال الحميدى : كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك • فغضب ابن عبد الحكم وترك مجلس الشافعى وتقدم فجلس فى الطاق وترك طاقا بين مجلس الشافعى ومجلسه • وجلس البويطى فى مجلس الشافعى فى الطاق الذى كان يجلس فيه اه •

(فى الجناح القبلى الآن) رتبها كمال الدين السمنودى

٥ الزاوية التاجية أمام المحراب الخشب رتبها تاج الدين السطحى

٦ الزاوية المعينية فى الجانب الشرقى (البحرى) رتبها معين الدين الدهروطى

٧ الزاوية العلائية تنسب لعلاء الدين الضرير وهى فى صحن الجامع وهى لقراءة ميعاد

٨ الزاوية الزينية رتبها الصاحب زين الدين لقراءة ميعاد أيضاً

ونقل المقريزى عن محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ أنه أدرك بالجامع قبل وباء سنة ٧٤٩ بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منه . اهـ

وفى سنة ٣٢٦ عاد أصحاب مالك والشافعى الى القتال فى المسجد الجامع العتيق وكان فى الجامع للمالكيين ١٥ حلقة وللشافعيين مثلها ولأصحاب أبى حنيفة ٣ فلما زاد قتالهم أرسل الأخشيد ونزع حصرهم ومساندهم وأغلق الجامع وكان يفتح فى أوقات الصلوات . ثم سئل الاخشيد فيهم فردهم .[1]

(١) المغرب ص ٢٤

وقال المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم « وعددت فى هذا الجامع ١١٠ مجالس فاذا صلى العشاء أقام البعض الى ثلث الليل اهـ

٥٤ — الحنفية والآبار بالجامع

توجد فى صحن الجامع حنفية للوضوء عليها قبة لطيفة. كانت تستعمل للوضوء منذ زمن مضى حينما كانت الدورة خارج الجامع فى الجهة القبلية منه. وبداخلها حوض وبئر مستوى سطح مائها منحط بقدر خمسة أمتار عن أرض الجامع الحالية.

بناء هذه الحنفية حديث وأظنه لا يتعدى قرنا وليس فيه من الأهمية شىء يستحق الذكر — أنظر الرسم رقم (٢) من اللوحة الثامنة — يشيع عنها بعض خدمة الجامع والتراجمة خرافة ما أنزل الله بها من سلطان فيزعمون أن ماءها متصل بماء زمزم الكائنة بمكة المشرفة وانه فى وقت ما جاء أحد المغاربة الى مصر وأدلى دلوه فى هذا البئر فطلع مع الماء طاس نحاس كانت وقعت منه فى زمزم أثناء حجه فالتقطها وأشاع ذلك.

وكان يشاع عن بئر الحنفى قبل اصلاح مسجده مثل هذه

الخرافة ولكنه لما أصلحت وزارة الأوقاف المسجد وردمت البئر بطلت هذه الخرافة وقل المتحدثون بها والحمد لله

*
* *

هذا وبالجامع بئر آخر قال ابن المتوج : ان الدعاء عنده مستجاب . وذكر أن من شرب ماءه أو استحم به للحمى زالت عنه .(١)

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى : وظهر بالجامع بئر البستان التى كانت به وهى اليوم يستقى منها الناس الماء بموضع حلقة الفقيه ابن الجيزى المالكى .(٢)

والموجود الآن بالجامع عدا بئر الحنفية بئر بالأيوان الشرقى مبين موضعها فى الرسم رقم ٣ صفحة ٤٦

٥٥ — الحنايا المكندجة بالجامع

ويقصد بالحنايا المكندجة النوافذ العليا المقوصرة التى بها الشبابيك الجص المفرغ مثل الموجود بجامع ابن طولون قال ابن دقماق نقلا عن ابن المتوج : والحنايا المكندجة

(١) ابن دقماق ص٧٥ ج ٤ (٢) مقريزى ج ٢ ص ٢٤٦

التى فى أعلى جدر الجامع عدتها ٧٨ حنيـة مكندجة على هذا الترتيب

١٧ فى الجدار القبلى (الشرقى الآن)

١٧ فى الجدار البحرى (الغربى الآن) وضمنها ماهو مستور بجدار سلم السطح وديوان استيفاء الاحباس

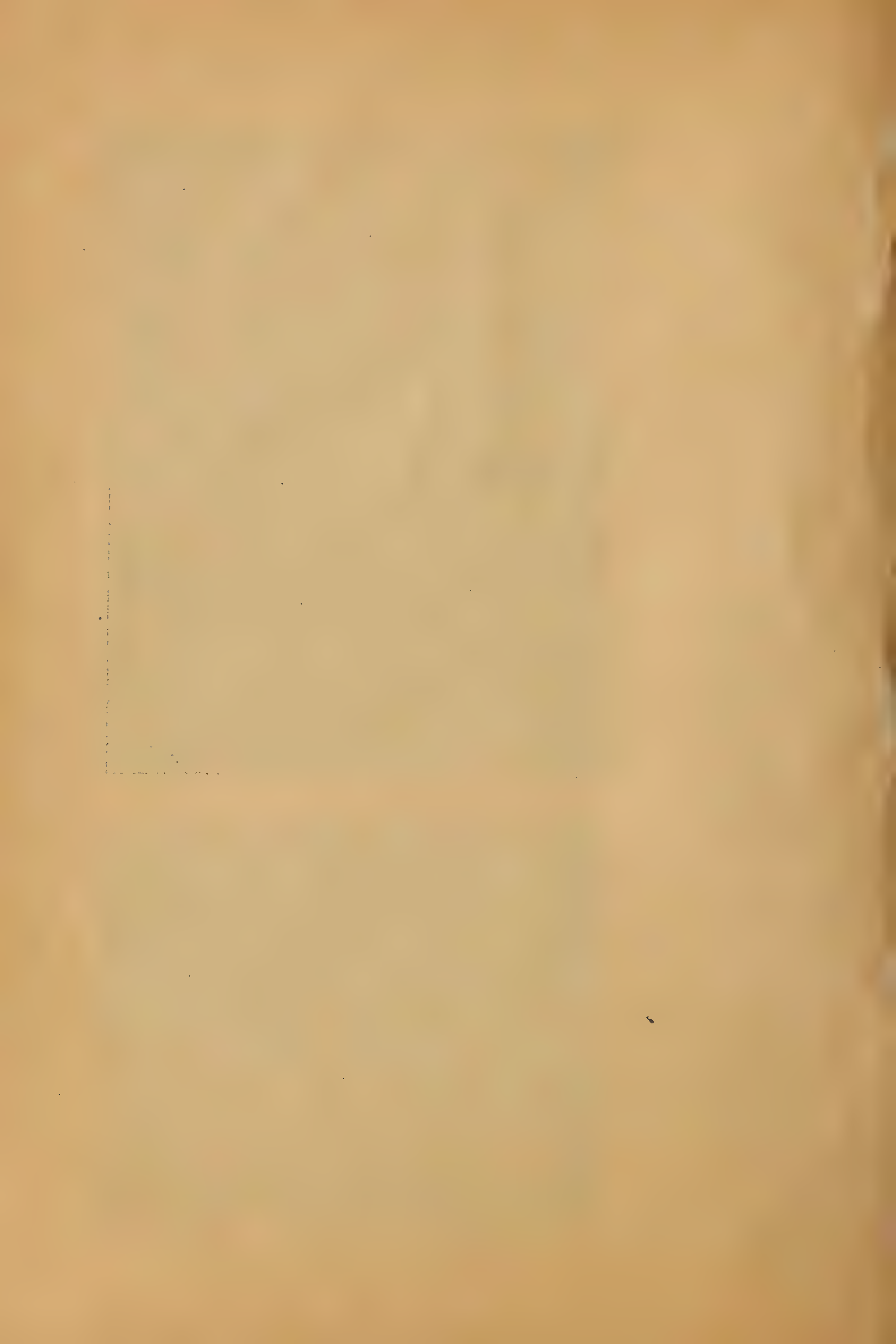
٢٢ فى الجدار الشرقى (البحرى الآن) وضمنها ماهو مستور بالديوان السالف الذكر

٢٢ فى الجدار الغربى (القبلى الآن) وضمنها ماهو مستور بجدار السلم . وفى كل حنية من هذه الحنايا عمودان فيكون مابها ١٥٦ عمودا بقواعدها . اهـ ص ٦١ ج ٤

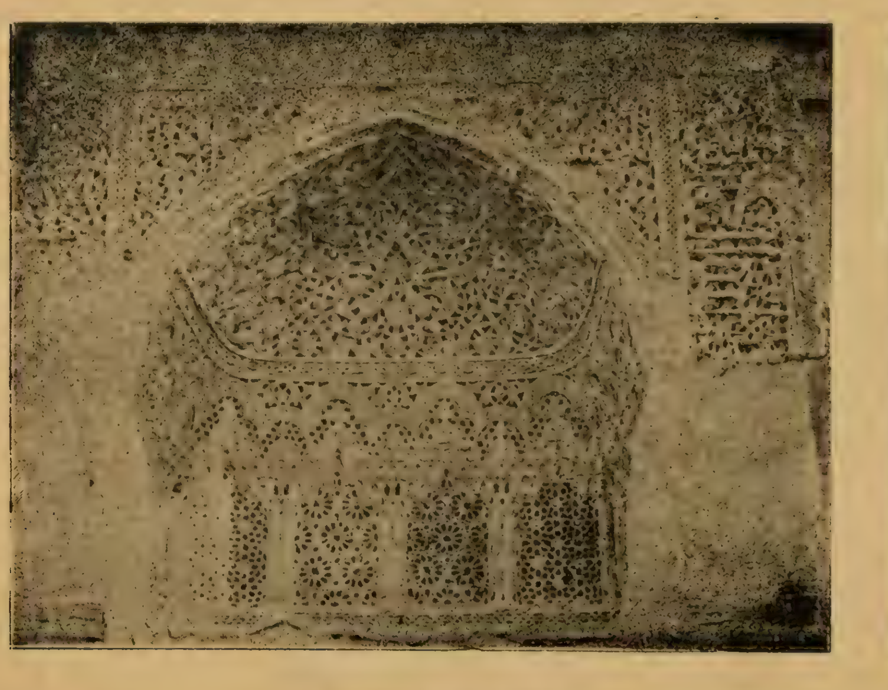
وقد زالت هـذه الحنايا الآن ولم يبق منها الا بقايا فى الجنب الغربى ستصلحها لجنة الآثار العربية عند اصلاح الجامع

٥٦ — المحراب الخارجى

ويوجد على يمين الباب الأوسط من الجنب الغربى للجامع محراب كان مزخرفا بالجص المنقوش وكان باطاره مكتوبا نقشا « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن



اللوحة الثانية عشرة



منظر وجهة المحراب الخارجي

عقد المحراب الخارجي مكبرا

(رسم علي افندي يوسف)

الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »

والمتطلع الآن الى الكتابة الباقية يعلم انها كانت ممتدة أفقية أعلى عقد المحراب ، ويتضح له ان المستطيل المنفصل عن عقد المحراب كان متصلا بالكتابة قبل سقوطها أو على الاقل كان قريبا منها . ومن قاعدة الزخرفة والخط (راجع اللوحة الثانية عشرة) يتضح ان هذا المحراب عمل فى القرن السابع أو الثامن الهجرى . واذا بحثنا فى العمارات التى عملت بالجامع فى التاريخ المذكور نجد

أولا — عمارة القاضى عبد الوهاب بين سنة ٦٥٩ و ٦٦١ — وكانت خاصة بالجنب الذى فيه المحراب — راجع ص ٣٥

ثانيا — عمارة السلطان بيبرس سنة ٦٦٦ وكانت فى الايوان الشرقى — راجع ص ٣٦

ثالثا — عمارة المنصور قلاوون سنة ٦٨٧ ولم تفد الجامع بشىء — راجع ص ٣٧

رابعا — عمارة الامير سلار سنة ٧٠٢ وكانت فى الجنب الذى

به هذا المحراب — راجع ص ٣٩

واذا يكون تاريخ هـذا المحراب محصور بين عمارتى القاضى عبد الوهاب وسلار .

ولما كان هذا المحراب محل مجلس الحكم الشافعى فالاقرب الى الصواب انتسابه الى عمارة عبـد الوهاب خصوصا وان الزخرفة توجد داخل الجامع الظاهرى المنشأ سنة ٦٦٥ .

٥٧ — الزيادات بالجامع

قال ابن دقماق فى ص ٦١ ج ٤ نقلا عن ابن المتوج : هى ثلاث . فى بحرى الجامع وغربيه (الغربى والقبلى الآن) وقد ذكرت عـدة أبوابه اليها

فالأولى : وهى البحرية الشرقية لهـا بابان من النحاسين اليها وباب منها الى الجامع وعدد ما بهـا من العمد القائمة ١٥ عمودا حاملة لسقفها

والثانية : الزيادة البحرية المشهورة بالحكام وعدد عمدها ٤٢ عمودا فيها مجلس الحكم الشافعى فى محرابه عمودان ومفرق فيه لحمل السقف ثمانية أعمدة . ومجلس الحكم المالكى قبالة

مجلس الحكم الشافعى وعدد عمده ١٥ عمودا منها عمودان فى كتفى محرابه و ١٣ مفرقة لحمل سقفه . وبالقواصر الحاملة للسقف ما بين المجلسين ١٧ عمودا . وهذه الزيادة لها بابان من الجامع اليها وبابان منها الى الطريق أحدهما بسوق الوراقين والثانى بسوق الابارين والطرايفيين .

والثالثة : الزيادة الغربية مما يلى القبلية ولها ثلاثة أبواب الى الطريق أحدها سد وجعل حانوتا للغزوليين . والثانى قبالة مدرسة يازكوج . والثالث الى المزاريقيين بجوار باب الجامع الذى يوصل الى سوق الغزل . ومنها الى الجامع بابان . وعمد هذه الزيادة ٢٦ عمودا . منها أربعة على كتفى محرابه . والاعمدة الباقية حاملة للقواصر الحاملة للسقف اه .

وقد ذهب كل ذلك ولم يبق أثر لهذه الزيادات الا محراب بالزيادة الثانية وقد سبق التكلم عليه .

٥٨ — زيارة بعض العلماء الأعلام للجامع

(١) زيارة أبى عبد الله محمد بن أحمد المقدسى المعروف بالبشارى

قال البشارى : سمعت أهل الفسطاط يذكرون أنه يصلى

قدام الامام يوم الجمعة نحو عشرة آلاف رجل فلم أصدق حتى خرجت مع المتسرعة الى سوق الطير فرأيت الأمر قريباً مما قالوا . وأبطأت يوما عن السعى الى الجمعة فألفيت الصفوف فى الأسواق على أكثر من ألف ذراع من الجامع . ورأيت القياسر والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب من المصلين .

وهذا الجامع يسمى السفلانى من عمل عمرو بن العاص وفيه منبره حسن البناء فى حيطانه شىء من الفسيفس على أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق والازدحام فيه أكثر من الجوامع الست [1] قد التفت عليه الأسواق الا أن بينها وبينه من نحو القبلة دار الشرطة وخزائن وميضأة وهو أعمر موضع بمصر وزقاق القناديل عن يساره وما يدريك ما زقاق القناديل ؟

قال : وسمعت شيخا فى الجامع يقول : ما قدم فى هذا المحراب امام قط الا وهو يتفقه لمالك ويقرأ لنافع غير هذا

(١) الجوامع التى كانت تقام فيها الجمعة فى وقت معاينة البشارى هى جامع عمرو . جامع القرافة . جامع ابن طولون . جامع العسكر وفى القاهرة الجامع الازهر . ولعل لفظة (الست) مصحفة عن الثلاث

يعنى ابن الخياط . قلت : ولم ذلك؟ قال: لم نجد أطيب منه وكان شفعويا لم أر فى الاسلام احسن نغمة منه .

وهـذا الجامع أبدا بـين المشاءين غاص بحلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الأدب والحـكمة . ودخلته مع جماعة من المقادسـة فربما جلسنا نتحـدث فنسمع النداء من الوجهين دَوِّروا وجوهكم الى المجلس فننظر فاذا نحن بين مجلسين .وعلى هذا جميع المساجد . وعددت فيـه ١١٠ مجالس . فاذا صلوا العشاء أقام البعض الى ثلث الليل . وأكثر سوقهم اذا رجعوا من الجامع .ولا ترى أجل من مجالس القراء به . وبه مجلس للمتلعبين (كذا)ولهم اجراء ويضربون على جوامعهم شراعات وقت الخطبة مثل البصرة . وأهل الفسطاط يكثرون الاشارة فى الصلاة والنخع والمخاط فى المساجد ويجعلونه تحت الحصر اه .

(ب) زيارة ابن سعيد المغربى (١)

قال أبو الحسن نور الدين على بن موسى بن عبد الملك

(١) دخـل القاهرة سائحا سـنة ٦٣٩ فعرف أهل العـلم بها

ابن سعيد الغرناطى : دخلت المسجد الجامع فوجدته كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه . وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معْبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق ، والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وماجرى مجرى ذلك ، والناس يأكلون منه فى أمكنة عديدة ، غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك . وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل يرتزقون بذلك منهم ، وفضلات ما كلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه ، والعنكبوت قد عظم نسجه فى السقوف والحيطان ، والصبيان يلعبون فى صحنه ، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة — الا ان مع هذا كله على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس مالا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه .

....

قدره وبعد أن مكث بمصر مدة ذهب الى سوريا وزار أماكن متعددة توفى بتونس فى حدود سنة ٦٨٥

ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك ، فعلمت انه سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم فى ساحته عند بنائه . واستحسنت ما أبصرته من حلق المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو في عدة أماكن ، وسألت عن موارد أرزاقهم فأخبرت انها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك ، ثم أخبرت ان اقتضاءها يصعب الا بالجاه والتعب اهـ . مقريزى ١٤٧ ج ٢ مليجى

*
* *

والى هنا انتهى ما أردنا كتابته عن جامع عمرو . أما كلمة المقوقس التى أشرنا عنها فى صفحة ١٤ فقد أرجأنا التكلم عليها الى وقت آخر نتكلم فيه عن ترجمة وافية للأمير عمرو بن العاص مشفوعة بتحقيقات تاريخية عن المقوقس مع بيان اسم المقوقس الذى كان معاصرا للنبي صلى الله عليه وسلم واسم المقوقس الذى كان موجودا أثناء الفتح الاسلامى لمصر والله الهادى الى أقوم طريق م

﴿ محتويات الكتاب ﴾



